مجلة شهرية

نـــــور المســيـــح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 199 عدد:

March 2024 شهر آذار

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير كسيروپوتامو

للروم الأرثوذكس ، جبل آثوس - اليونان

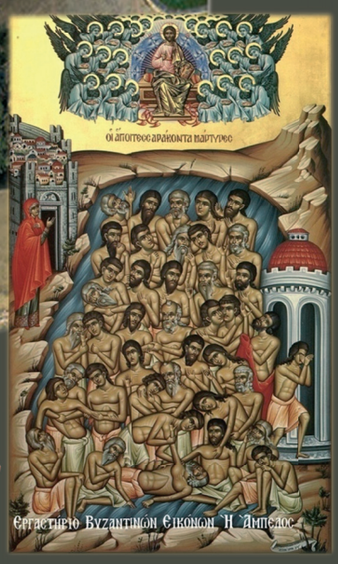

عيد الدير المركزي: تذكار الشهداء الأربعين

٩ آذار شرقي، الواقع في ٢٢ آذار غربي

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد شفيعه القديس الشهيد ثيوفيلوس الذي مع الشهداء الأربعين

في البطريركيَّة الأورشليميَّة ٢٥- ٣ -٢٠٢٣

«وَلْيَبْتَهِجْ وَلْيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ الَّذِينَ يَبْتَغُونَكَ، وَلْيَقُلْ فِي كُلِّ حِينٍ مُحِبُّو خَلَاصِكَ لِيَتَعَظَّمِ اللهُ» (مز ٦٩:٥).

أَيُّهَا اَلْآبَاءُ اَلْإِجْلَاءُ وَالْإِخْوَةُ اَلْمُحْتَرَمُونَ

أَيُّهَا اَلزُّوَّارُ اَلْمَسِيحِيُّونَ اَلْحَسَنُو اَلْعِبَادَةِ

هَا قَدْ جَاءَ الْيَوْمُ الْعِيْدُ الْبَهِيُّ الْمُقَدَّسُ لِلْقِدِّيسِينَ الْعُظْمَاء الْأَرْبَعِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُسْتَشْهِدِينَ فِي مدينةِ سبسطية وَالَّذِينَ تُكَرِّمُ تَذْكَارَهُمْ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ كنيسَتُنا الأُورشليميَّةُ الْمُقَدَّسَةُ مُرنمةً وَهَاتِفَةً: لِيَقُلْ فِي كُلِّ حِينٍ مُحِبُّو خَلَاصِكَ لِيَتَعَظَّمِ اللهُ (مز ٦٩:٥).

إِنَّ هَذَا الْخَلَاصَ والذي هُوَ الْجِيلُ خَلَاصِ الْمَسِيحِ، قَدْ اعْتَرَفَ بِهِ الشُّهَدَاءُ الْأَرْبَعُون إِذْ كَانُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ (١كور ١:١٠) بِدَالَّةٍ أَمَّامَ الْوَثَنِيِّينَ مُضْطَهِدِيهُمْ وَمُعَذِّبِيهُمْ، مُصْغِين لِصَوْتِ الرَّسُولِ بُولُسَ الْقَائِلِ: «بَلْ أَنَّ مَا يَذْبَحُهُ الْأُمَمِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ، لَا للهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ.» (١كور ١٠: ٢٠)، وَأَيْضًا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقِدِّيسِينَ الشُّهَدَاء الْأَرْبَعِين قَدْ ٱسْتَوْحَوْا الْهَامَهِمْ مِنْ الْقِدِّيسِ استفانوس اوَلِ الشُّهَدَاءِ والذي هُوَ مِنْ جِهَةٍ نَمُوذَجٌ وَمِثَالٌ، اذْ سَفْكَ دَمَهُ الاستشهاديّ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ، وَمِنْ الْجِهَةِ الْأُخْرَى قَدْ كَرَزَ بِشَهَادَتِهِ بِابْنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي أَجَابَ بيلاطس قائلًا:« لهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (يوحنا ١٨: ٣٧).

إِنَّ صَوْتَ حَقِيقَةُ الْمَسِيحِ هَذِهِ لَمْ يَسْمَعْهَا فَقَطْ الْقِدِّيسون الْأَرْبَعُون شهيدًا، بَلْ صَارُوا مَغْرُوسِينَ عَلَى شَبَهِ مَوْتِ الْمَسِيحِ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى شَبَهِ قِيَامَتِهِ أَيْضًا. وَيَمْدَحُ الْقِدِّيسِ باسيليوس الْكَبِيرِ اسْتَشْهَادَهم مِنَ أَجْلِ الْحَقِيقَةِ إِذْ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ يَعْرِضْ لَتَعَجُّبِنَا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ بَلْ اربَعُونَ، وَكَأَنَّمَا لَهُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فِي أَجْسَامٍ شَتَّى تَجْمَعُهُمْ وَحْدَةُ الْإِرَادَةِ وَالرَّأْيِ فِي الْإِيمَانِ. وَقَدْ أَبْدَوْا نَفْسَ الثَّبَاتِ تُجَاهَ الْأَخْطَارِ، وَنَفْسُ الذَّوْدِ عَنْ الْحَقِّ. كُلُّهُمْ مُتَمَاثِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ

لَقَدْ كَانَ لَدَى فِكرِ الْقِدِّيسِينَ الشُّهَدَاءِ قَوْلُ الرَّبِّ هَذَا: «رُوحُ الْحَقِّ، هُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يوحنا ١٦:٣). فَهُمْ لَمْ يَرْتَاعُوا وَلَا جَبُنُوا مُحْجِمِينَ بِإِزَاءِ صَدَمَاتِ الْعَذَابَاتِ، وَلَا تَزَعْزَعَتْ أَفْكَارِهِمْ بَلْ كَانُوا كَثَلَاثَةِ فِتْيَةٍ آخَرَيْنَ فِي أَتُونِ النَّارِ سَبَّحُوا اللهَ ومجَّدُوه قَائِلِينَ: لَا تَبْعُدْ رَحْمَتُكَ عَنَّا.

إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ هٰذِهِ هِيَ الَّتِي ولدتنا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ بِقِيامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ، فَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءُ الشُّجْعَانُ مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنْ أَجْلِ فِدَائِهِمْ بِدَمِ الْمَسِيحِ، وَغُفْرَانِ زَلَّاتِهِمْ وَتَطْهِيرِهِمْ مِنْ خَطَايَاهُمْ، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ.

إِنَّ هَذَا الْعِيدَ السَّنَوِيَّ الَّذِي هُوَ العِيدُ باحْتِفَالِ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ شَهِيدًا وَبِالْأَخص الْقِدِّيسِ ثيوفيلوس الْمُسْتَشْهِدِ مَعَهُم، والذي تَحْمِلُ اسْمَهُ حَقَارَتُنَا الْمُتَوَاضِعَةُ، فهو يُشَكِّلُ رَائِحَةَ سُرُورٍ تَذْكَارُهَا لِلْرَّبِّ. (لَاوِيِّيْنِ ٦ : ٨)، وَهَذَا لِأَنَّهُ كَمَا يَهْتِفُ المرنم قَائِلًا: لَقَدْ أَهْمَلْتُمُ الْجُنْدِيَّةَ الْعَالِمِيَّةَ بَتَاتًا. والتصقتُم بِالسَّيِّدِ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. يَا مُجَاهِدِي الرَّبِّ المغبوطين الْأَرْبَعِينَ. صَائِرِينَ بِذٰلِكَ مَوَاطِنِيْ مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ فِي أورشليم السَّمَاوِيَّةِ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءَ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ الْمُتَوَّجِينَ وَالْمُنْتَخَبِينَ قَدْ امْتُحِنوا بِالْمَاءِ وَالنَّارِ وَأَصْبَحُوا مُتَمَثِّلِينَ وَمُقْتَدِينَ بِمَوْتِ الْمَسِيحِ فَصَارُوا شُهُودًا صَادِقِينَ وَكَارِزِينَ بِبِرِّ الْمَسِيحِ كَمَا يُعَلِّمُ الرَّسُولُ بطرس قائِلًا: «فَإِنْ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ» (١بط ٣:١٨).

إِنَّ الشُّهَدَاءَ الْمجِيدِينَ الْأَرْبَعِينَ يَتَمَيَّزُونَ بِأَنَّهُمْ فِي دَاخِلِ السَّحَابَةِ مِنْ شُهُودِ الْكَنِيسَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَمَا يَقُولُ عَنْهُمُ الْقِدِّيسِ باسيليوس

الْكَبِيرِ: «لَمْ يَكُنْ لِهٰؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ وَطَنٌ وَاحِدٌ بَلْ كُلٌّ مِنْهُمْ قَدْ نَشَأَ فِي بَلْدَةٍ. فَصَارُوا ذُرِّيَّةَ الهِنَا وَرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَأَمَّا جِنْسُهُمُ الْبَشَرِيُّ مُخْتَلِفٌ وَأَمَّا جِنْسُهُمُ الرُّوحِيُّ فَهُوَ وَاحِدٌ. فَإِنَّ لَهُمْ أَبًا وَاحِدًا هُوَ اللهُ وَجَمِيعُهُمْ إِخْوَةٌ لَمْ يَلِدْهُمْ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ بَلْ وُلِدُوا بِتَبَنِّي الرُّوحِ الْقُدُسِ وَآلَفَتْ بَيْنَهُمْ وَحْدَةُ الْمَحَبَّةِ الْمُتَبَادَلَةِ».

هُمْ جَمَالُ الْكَنِيسَةِ وَفَخْرُهَا، وَفَرَحُ الشَّعْبِ، وَمَجْدُ اللهِ الَّذِي أَعْطَاهُمُ الْقُوَّةَ. هُمْ أَقْمَارُ **الْمَسِيحِ**، بُنَاةُ الْكَنَائِسِ، الَّذِينَ يَخُوضُونَ الْمَعْرَكَةَ نَحْوَ الْعَدُوِّ الْمُشْتَرَكِ لِلْبَشَرِيَّةِ. هٰذَا مَا يَقُولُهُ الْقِدِّيسُ غريغوريوس النيصصي فِي مَدِيحِ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعِينَ.

إِنَّ كنيسةَ أُورشليم المقدَّسة تُكَرِّمُ بِفَرَحٍ وَحُبُورٍ ذكرى الأربعين شهيدًا وَبِالْأَخَصِّ الْقِدِّيسِ الشَّهِيدِ ثيوفيلوس الْمُسْتَشْهِدِ مَعَهُمْ وَالَّذِي تَحْمِلُ اسْمَهُ الْجَلِيلَ حَقَارَتُنَا، فَذَهَبْنَا حَيْثُ مَوْضِعُ صَلْبٍ وَدَفْنٍ وَقِيَامَةِ **مُخَلِّصِنَا وَرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ** واحتفلنا، مُتَمِّمِينَ بَطْرِيَرْكِيًّا سِرَّ الذَّبِيحَةِ الإِلٰهِيَّةِ غَيْرِ الدَّمَوِيَّةِ، أَيْ سِرَّ الشُّكْرِ الإِلٰهِيِّ، بِرُفْقَةِ أَخَوِيَّةِ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ الْأَجِلَّاءِ مِنْ رُؤَسَاءِ كَهَنَةٍ وَكَهَنَةٍ وَشَمَامِسَةٍ وَلَفِيفٍ مِنْ أَبْنَاءِ رَعِيَّتِنَا الْمَسِيحِيِّينَ الْأَتْقِيَاءِ مُمَجِّدِينَ **الرَّبَّ** الَّذِي عَجَّبَ قِدِّيسِيهِ.

وَأَيْضًا رَفَعْنَا الْمَجْدَ وَالشُّكْرَ لِإِلٰهِنَا الْوَاحِدِ الْمُثَلَّثِ الْأَقَانِيمِ، وَهٰذَا **لِأَنَّنِي أَحْمِلُ اسْمَ الْقِدِّيسِ الشَّهِيدِ ثُيُوفِيلُوسَ** وَنَقُولُ كما قال القديس يوستينوس: **تباركَ خالقُ الجميع بابنه يسوعَ المسيح وبروحِهِ القُدُّوس.**

إِنَّ الذِّكْرَى السَّنَوِيَّةَ لِتِذْكَارِ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ شَهِيدًا وَلَا سِيَّمَا الْقِدِّيسِ الشَّهِيدِ ثيوفيلوس الْمُسْتَشْهِدِ مَعَهُمْ وَالَّذِي تَحْتَفِلُ الْيَوْمَ بِهِ كَنِيسَةُ أُورشليم الْمُقَدَّسَةُ بِابْتِهَاجٍ وَحُبُورٍ لَا يَخُصُّ حَقَارَتَنَا فَقَطْ بَلْ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِهٰذِهِ الْمُؤَسَّسَةِ الرَّسُولِيَّةِ البطريركيَّة الْكَنَسِيَّةِ التي هِيَ جَسَدُ **الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا** الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ (أَفَسُس ١: ١٧)، «وَلٰكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خَطَأَةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رُومِيَّةَ ٥: ٨).

إِنَّ هٰذِهِ الْمَحَبَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ الْكَامِلَةَ وَالَّتِي «تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى الْخَارِجِ» (١ يو ٤: ١٨)، وَالَّتِي اشْتَعَلَتْ كَنُورٍ فِي قُلُوبِ وَأَذْهَانِ الْقِدِّيسِينَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا كَمَالَ عَمَلِ الْمَحَبَّةِ كَمَا يَقُولُ كليمنضُس الْأَسْكَنْدَرِيُّ: وَهُوَ أَنَّهُمْ اهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا فِيمَا بَيْنَهُمْ، بِحَسَبِ **الْمَسِيحِ يَسُوعَ**، لِكَيْ يُمَجِّدُوا **اللهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**، بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَمٍ وَاحِدٍ.

«لِكَيْ تُمَجِّدُوا اللهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَمٍ وَاحِدٍ.» (رُومِيَّةَ ١٥: ٦). وَصِيَّةُ الرَّسُولِ بُولُسَ هٰذِهِ هي أَنْ تَهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا فِيمَا بَيْنَكُمْ بِحَسَبِ **الْمَسِيحِ يَسُوعَ**، إِذْ تُعْلِنُ وَتَتَوَجَّهُ لَنَا نَحْنُ جميعًا وَبِالْأَخَصِّ إِلَى إِخْوَتِنَا **فِي الْمَسِيحِ** الْأَسَاقِفَةِ الموقَّرين رُؤَسَاءِ الْكَنَائِسِ الأرثوذكسيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَحَلِّيَّةِ والذين يُقِيمُونَ (يُقَدِّسُونَ) فِي حَالَةٍ مِنَ الْعُزْلَةِ. فَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي وَقْتٍ مَقْبُولٍ، وَوَقْتِ تَوْبَةٍ وَصَوْمٍ مُبَارَكٍ، فَلْنُكْرِمِ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ شَهِيدًا، قائلين: «يَا أَيُّهَا الشُّهَدَاءُ الْأَرْبَعُونَ الْمُتَسَاوُونَ فِي الْجِهَادِ، وَالْمُتَسَاوُونَ فِي الرَّأْيِ، وَالْمُتَسَاوُونَ فِي نَيْلِ الْأَكَالِيلِ أَيْضًا، ابْتَهِلُوا إِلَى الْمَسِيحِ الْإِلٰهِ أَنْ يَمْنَحَ نُفُوسَنَا عَظِيمَ الرَّحْمَةِ.»

وبما أَنَّهُ لَدَيْنَا فِي هٰذَا الصَّوْمِ مُعَاوِنُونَ وَمُسَاعِدُونَ وُلِدُوا بِتَبَنِّي **الرُّوحِ الْقُدُسِ** وَآلَفَتْ بَيْنَهُمْ وَحْدَةُ الْمَحَبَّةِ الْمُتَبَادَلَةِ، كَمَا يَقُولُ الْقِدِّيسُ باسيليوس الْكَبِيرُ **الْمُتَوَشِّحُ بِاللهِ**، هُمُ الشُّهَدَاءُ القِدِّيسُونَ الْأَرْبَعُونَ شَهِيدًا وَالْمُسْتَشْهِدُ مَعَهُمْ حَارِسُنَا الرُّوحِيُّ الَّذِي أَحْمِلُ اسْمَهُ الْقِدِّيسُ ثيوفيلوس **وَسَيِّدَتُنَا وَالِدَةُ الْإِلٰهِ الدَّائِمَةُ الْبَتُولِيَّةِ مَرْيَمَ** مُتَضَرِّعِينَ لَكِي بِسَلَامٍ وَتَوَاضُعٍ وَتَوْبَةٍ نَكُونُ مُسْتَحَقِّينَ أَنْ نَبْلُغَ يَوْمَ قِيَامَةِ الهِنَا وَمُخَلِّصِ نُفُوسِنَا الثَّلَاثِيَةِ الْأَيَّامِ.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

قصةٌ قصيرةٌ مُعَبِّرَةٌ – «ريشُ الطيورِ»

ثارَ الشَّابُّ **نَجاح** على صديقِه وَقَذَفَهُ بكلمة جارحة، وإذ عادَ إلى نَفْسِهِ، وقد هدأت أعصابه، بدأ يُفَكِّر بِتَعَقُّل: «كيفَ خرجت هذه الكلمة من فَمِي؟! يجب أنْ أقوم وأعتذر من صديقي».

وبالفعل، عادَ أدراجه إلى صديقه، وفي خَجَلٍ شديد قال له: «آسف، فقد خَرَجت هذه الكلمة مِنِّي عَفوًا، فاغفر لي». قَبِلَ الصديق اعتذاره، ولكنّ **نَجاح** عاد إلى مَنزِلِهِ وهو يُوبِّخ ذاته ويُؤنِّبها بِشِدَّة. وإذ لَمْ يَستَرِح قلبُهُ، ولم يهدأ قَطُّ، قَصَدَ كاهن الرَّعِيَّة، واعترف بما ارتكبه، قائلًا له: «أُريد يا أبي، أنْ تستريح نفسي، ويسكت تأنيب ضميري، فإنِّي منذهل أنَّ هذه الكلمة خرجت من فمي، وَجَرَحتُ شعور أَعَزِّ أصدقائي».

فقالَ له الكاهن: «إنْ أَرَدتَ أنْ تستريح فعلًا، إملأ جُعبتك من ريش الطيور، واعبر على بيوت الحيِّ كلِّها، وضع ريشه أمام كُلِّ منزلٍ».

تَعَجَّبَ الشابُّ لهذا الطَّلَب الغريب، فَمِنْ أينَ يحصل على ريش الطيور؟! ولكنَّهُ رغم ذلك، وفي طاعةٍ كاملةٍ نَفَّذَ **نَجاح** ما قيلَ له، ثُمَّ عادَ إلى الكاهن يُخبره مُتَهَلِّلًا، كيفَ أَطاعَ وَطَبَّقَ الوصِيَّة! ولكنَّ الكاهن فاجأَهُ بقولِهِ: «إذهَب، الآن، واجمع الريش من أمام الأبواب».

عادَ **نَجاح** ليجمع الريش حِفظًا للطاعَةِ، فوَجَدَ أنَّ الرِّياحَ حملت الريش وبعثرته بحيث صار جمعه مُتعذِّرًا جدًّا، ولم يَجِد إلَّا القليل القليل منه أمام بعض الأبواب، فعادَ حزينًا. ولمَّا أَخبَرَ الكاهن بما حدَثَ له، أجابه هذا الأخير: «كُلُّ كلمة تنطق بها تُشبه ريشة تَضعها أمام باب بيت أخيكَ، فما أسهل أنْ تفعل هذا! ولكن ما أصعَب أنْ تَرُدَّ الكلمات إلى فَمِكَ لِتَحسَبَ نفسَكَ كأنَّكَ لم تنطق بها! لهذا عليكَ في كُلِّ صباح، أنْ ترفع يديك إلى العلاء، وتطلب معونة الرَّبِّ صارخًا مع المرتِّل: «**إجعَل يا ربُّ حافظًا لِفَمِي، وبابًا حصينًا على شَفَتَيَّ**». وانتبه لهذه الآية بل الْهَج بها نهارَكَ كَلَّهُ فتستريحُ وتُريحُ نفسَكَ روحِيًّا».

دير كسيروبوتامو العامر للرّوم الأرثوذكس
جبل آثوس - اليونان

موقع الدير: يقع **دير كسيروپوتامو** تقريبًا في منتصف الجهة الجنوبيَّة الغربيَّة لشبه الجزيرة الأثونيَّة، بين **دَيْرَيْ سيمونُس بيتراس وبندلايمون (الدير الروسي)**، ويحتل المركز الثامن في تسلسل أديرة جبل آثوس العشرين.

وهو مبنيٌّ على هضبةٍ ذات موقعٍ بارزٍ مُطِلٍّ على خليج سينچيتيكو (المعروف اليوم بخليج جبل آثوس)، على ارتفاع ٢٠٠ متر فوق سطح البحر، بالقرب من الطريق المؤدي من الميناء الرئيسي دافني إلى منطقة كارييس (عاصمة جبل آثوس).

لكن بحسب شهادات أخرى موثوقة ومصادر مكتوبة، تأسَّس الدير في نهاية القرن العاشر. أي بعد وقت قصير من تأسيس **دير اللاڤرا العظيم** الذي شيَّده **القدِّيس أثناسيوس الآثوسي**.

بينما تشير مصادر أخرى إلى **الأباطرة قسطنطين ز. بورفيروجنيتوس (٩١٣–٩٥٩) ورومانوس الأول ليكابينوس (٩٢٠–٩٤٤)**، والذي تبرع الأول منهم بعباءة حمراء ثمينة للدير، من أصل **١٠ عباءات**.

والمؤسِّس المحتمل **لدير كسيروپوتامو**، والذي أُطلق عليه اسمه، هو المتوَحِّد پاڤلوس كسيروپوتامو، الذي سُمي بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذي كان راهبًا فيه سابقًا. فأصبح رئيسًا أوَّل لدير كسيروپوتامو وبرز كرَجُلٍ روحيٍّ عظيم في ذلك الوقت، واسمه مذكورٌ في أوَّل تيبيكون لجبل آثوس (٩٧١/٢)، القديس پاڤلوس هو ابن الإمبراطور ميخائيل الأوَّل رانغابي، وامّه بروكوبي ابنة الإمبراطور نيكوفورس الأوَّل. اسمه في المعموديَّة كان بروكوبيوس. هذا استبدَلَ ثيابَهُ الثمينة بثيابٍ مُتَسَوِّل، وخرجَ مِنَ العاصمة سِرًّا طالبًا الجبل المقدَّس آثوس؛ حيثُ نَسَكَ بِحَمِيَّةٍ وَجِدٍّ ونَشَاط، سامَهُ قدِّيس ناسك راهبًا باسمِ پاڤلوس. كان مُتَشَدِّدًا ومُتمسِّكًا بالطُرُقِ التقليديَّة، وعليه كان من المناهضين للأساليب الجديدة التي أدخلها القديس أثناسيوس الآثوسي الذي بنى أوَّل دير في جبل آثوس ألا وهو دير اللاڤرا العظيم، ولم تكن لديه أيّة علاقة صداقة حقيقيَّة معه.

وحسب التقليد الشريف للكنيسة المقدَّسة، يقول عن رقاد القديس پاڤلوس: ﴿ أَعْلَمَ الرَّبُّ قدِّيسنا پاڤلوس بيوم انتقاله من هذا العالم الخدَّاع، فجمع كُلّ الإخوة في الدير، وأوصاهم أن يتبعوا مثاله وتعاليمه وفرائضه التي كان يمارسها بالدير دير كسيروپوتامو، وأن يكونوا أمينين لها حتى الدم إذا لَزِمَ الأمر. ثمَّ سَأَلَ العفو والدموع في عينيه، وقام ولَبِسَ ثيابه الرهبانيَّة، واشترك في خدمة الأسرار المقدَّسة، وبعد تناوله جسد ودم المسيح الإلهيِّين، إذ ذاك تلألأ وجهه كالشَّمسِ حتى وَقع الحاضرون على الأرضِ، أَعجز من أنْ يحتملوا شدَّة البهاء من وجهه، وبعدما تَلَا صلاة القديس يوانيكُس التي اعتاد ترددها: «الآب رجائي، والابنُ ملجأي، والرُّوح القُدُس وقائي، أيها الثالوث القدوس المجدُ لك». بسطَ يده وعيناه إلى السماء واستودع روحه بين يديِ الخالق.﴾

كان **دير كسيروپوتامو** يُسمى في الأصل «دير القديسين الشهداء الأربعين»، بينما في وثائق مختلفة أخرى تحمل عنوان : « القديس نيكوفورس كسيروپوتامو»، ربما لدينا آسمان لنفس الدير. بخلاف ذلك، ينبغي أنْ نفترض أنَّ الأول الشهداء الأربعون، كونه أُسِّسَ أخيرًا، وهو أصغر حجمًا، فإنه كان ينتمي إلى الدير القديم والأكبر حجمًا إلى نيكيفوروس. علاوة على ذلك، وفقًا للتقاليد، يعود تاريخ تأسيس الدير إلى القرن الخامس الميلادي، وقد بنته **الأميرة بولخريا (٤٥٠–٤٥٧)، ابنة الإمبراطور أركاديوس.**

في القرن الحادي عشر، كان **دير كسيروپوتامو** واحدًا من أغنى أديرة الآچيوريت (جبل آثوس)، حيث كان ينتشر بشكلٍ كبير على الجانب الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة. ووصلت حدوده إلى منطقة **دير إيڤيرون**، وشرقًا إلى منطقة **دير القديس پاڤلوس** (فيه هدايا المجوس المكونة من ٢٨ قطعة)، حيث تتواجد هناك أيضًا أديرة: **دير سيمونوبترا** (فيه اليد اليُسرى الخالدة للقديسة مريم المجدليّة وحرارتها ٣٧ درجة مؤيَّة) **ودير غريغوريو** (فيه اليد اليمنى الخالدة للقديس غريغوريوس اللاهوتي) **ودير ديونيسيوس** (فيه اليد اليمنى الخالدة للقديس يوحنا المعمدان التي وضعها على هامة السيِّد المسيح). مع مرور الوقت، بالطبع،

تراجعت هذه الحدود قليلًا وأصبحت محدودة أكثر وبَيِّنَةً، ولكن حتى اليوم لدى الدير مساحات كبيرة من الأرض وخاصة غاباتها المليئة بالكستناء البريَّة. استمر ازدهار الدير طوال القرن الثاني عشر وحتى أوائل القرن الثالث عشر. ولكن بعد ذلك، **خلال سنوات حكم الفرنجة**، توقف هذا الازدهار، وبدأت الصعوبات بسبب الأزمة الاقتصاديَّة الذي أوجَدَها هذا **الأحتلال الغاشم**.

(ملحوظة: تراجعت أحوال مدينة القسطنطينيَّة إثر وفاة الإمبراطور يوستينيانوس العظيم، وفقدت الكثير من مناعتها جراء **الحملة الصليبيَّة الرَّابعة** التي أنهكت دفاعاتها، فالمدينة لم تستطع في مئتي عام أنْ تَتَعَافَى من **سَبْي اللاتين** لأهلها **وحرقهم** بيوتها ومبانيها وساحاتها، وإذا كان الانشقاق الكبير ما بين الكنيستين قد حصل عام ١٠٥٤ نتيجة ابتعاد الكنيسة الكاثوليكيَّة عن الإيمان القويم، فإن الانشقاق قد اتسع كثيرًا في العام ١٢٠٤، أي عند دخول **الجيوش الصليبية** المدينة **وحرقها** مبانيها العامة والخاصة **وانتهاكها** حُرمة كنائِسِهَا.)

وبعد استعادة مدينة القسطنطينيَّة على يدِ الإمبراطور الباليولوچي الأول ميخائيل الثامن (١٢٥٩–١٢٨٢) من **يد المحتلِّين اللاتين**، قام بتعزيز الدير ماليًّا. كما أرشدتنا إلى ذلك وثيقة ذهبيَّة خاصة به تعود إلى عام ١٢٧٥، وبحسب التقليد الشريف فإنَّه قام بنفسه بزيارة الدير. وقد اهتم خليفته الإمبراطور الباليولوچي أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢–١٣٢٨) بإعادة إعمار الدير بعد حريق عام ١٢٨٠ وسجَّل أملاك الدير **بالوثيقة المُذَهَّبةِ الخاصةِ به**، وكانت وثيقة عامّة رسميَّة – إنَّه مرسوم يحمل ختمًا ذهبيًّا على الشريط الحريري المصاحب له، والذي يؤكِّد صحة المرسوم، يتكون النصّ المُذَهَّب من أربع أوراق من الرقِّ الملصوق، وفي النهاية، توقيع الإمبراطور بخط يدِهِ بالحبر الأحمر. **(انظر الصورة اسفل)**.

الإمبراطور پاليالوغوس الثاني، مع الوثيقة الذهبيّة، وتوقيعه باللون الأحمر

في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وبالموازاةِ مع **أباطرة الرُّوم**، اعتنى **حكام صربيا بالدير**، وغالبًا ما قدَّموا له مبالغ كبيرة من المال. وبشكلٍ خاص على نفقتهم الشخصيَّة، تمَّ بناء الجدار مع البرج العالي ومصلى (پاراكليسي) **للسيِّدة العذراء** في الجانب الشمالي، وأعيد بناء الكاثوليكون – الكنيسة المركزيَّة – الخاص به عام ١٤٤٥. وأمَّا خلال سنوات **الاحتلال التركي المُسْتَبِدّ** وحتى القرن التاسع عشر، فقد مَرَّ **دير كسيروپوتامو** بأوقات عصيبة بشكلٍ عام، والتي كانت لأسباب عديدة ومتنوِّعة. ومن أهمها **الهجمات الرَّهيبة التي شنَّها الأتراك** ضدَّ **الدير**، والحريقان الكبيران في عامي ١٥٠٧ و ١٦٠٩ والصراعات القَضائيَّة التي لم تتوقَّف تقريبًا، والتي كانت تتعلَّق بشكلٍ أساسيّ بالنزاعات الحدودِيَّة مع الأديرة المجاورة. وعانى الدير كثيرًا من **غارات القراصنة**، إلَّا أنَّ الحريقين كلَّفاه أكثر، مما أدَّى إلى تدميره بالكامل. ولكنَّه استطاع فقط على إنقاذ إرثه أي الذخائر المقدَّسة والنفيسة التي يحتضنها **الدير**. وقد اهتمَّ الرهبان أنفسهم بإعادة إعماره هذه المرة، بعد أنْ جمعوا ما يكفي من المال من جمعِ التبرعات والجولات في أراضي الدانوب، مع حملهم الصليب الحقيقي المقدس الموجود ككنزٍ ثمينٍ في الدير، وكذلك حكام هذه البلاد، الذين أنشأوا أيضًا منحة سنويَّة للدير، والعطاء السخيّ، من **السلطان سليم الأول**. (**١٥١٢–١٥٢٠**)، المسجلة في وثيقة الدير: أنَّه **سنة ١٥١٧** قَدَّمَ **السلطان العثماني سليم الأوَّل** تبرعات كبيرة وتسهيلات كثيرة للدير. علمًا أنَّه في **عام ١٥١٣**، قام السلطان سليم الأول بزيارة جبل آثوس، حيث تبرَّعَ بالكثير من الأموال، والهدايا الثمينة والنفيسة. بالإضافة إلى الدعم المالي، منحَ العديد من الامتيازات **لجبل آثوس** بأكمله وخاصة **دير كسيروپوتامو**. خلال هذه السنوات الصعبة، أبدى العديد من البطاركة المسكونيِّين المتواجدين في القسطنطينيَّة اهتمامًا **بالدير**، وخاصة **البطريرك تيموثاوس الثاني** (**١٦١٣–١٦٢٠**)، الذي حاول بختمه البطريركي (١٦١١) الحفاظ على نظام الشركة الرهباني، وأعطى الحقّ لرئيس الدير أن يلبس «**العباءة الأرجوانية**». واستمرَّ وضع الدير سجالًا بين الكوارث والترميم لغاية سنة ١٩٥٢، فالأجزاء التي دمرتها النيران تمَّ ترميمها من قبل دائرة الآثار، بينما من المتوقع بين لحظة وأخرى ترميم الجناح الجنوبي الغربي الذي احترق لسببٍ غير معروف عام ١٩٧٢.

تمَّ تسميَّة الكنيسة المركزيَّة (الكاثوليكون)، والتي أُعيد بناؤها في الأعوام ١٧٦١–١٧٦٣ على يد سيزاريوس دابونتي، **بالشهداء الأربعين**، تكريمًا لذكرى الأربعين شهيدًا المقدَّسة. وتمَّ كتابة (رسم) أيقونات القديسين الأربعين شهيدًا على الحائط بعد ٢٠ عامًا من بنائها، أي في عام ١٧٨٣، يتواجد الكاثوليكون (الكنيسة المركزيَّة) في وسط الفناء المرصوف بالحجارة ويتَّجه أكثر نحو الشمال وفقًا لطبيعة المكان المقابلة للتضاريس. تمَّ بناؤه بنفس طريقة بناء الكنائس المركزيَّة الأُخرى، وهي واسعةٌ جدًا، باستثناء المذبح المقدس الضيق نسبيًّا. زخارفها الخزفيَّة (السيراميك) تُجمِّل أعمال البناء الدقيقة بشكلٍ أكبر، في زاوية الفناء الخارجي تندمج لوحة بارزة من العصر الرُّومي، البيزنطي الأوسط مع تمثيلٍ أو رَسم كاملٍ لشخص القديس ديمتريوس الفائض الطيب. توجد أيضًا هامتان بارزتانِ، للأميرة بولخيريا والقديس پاڤلوس، على برج الجرس مع النقش: «القديس پاڤلوس كسيرووتاموس ابن التقيّ ميخائيل، ١٧٣٨». الأيقونستاس الحديث نسبيًّا يُعتبر عَمَلًا عجيبًا وفريدًا في فنِّ نحت الخشب المطلي بالذهب. أمَّا في الجوانب المقدَّسة من الكاثوليكون في الأماكن المخصَّصة للمرتلين، وأيضًا في أجزاء أُخرى من صحن الكنيسة، يتواجد قرابة **مائتي أيقونة محمولة**، تتألَّق عدة أيقونات منه بجدارةٍ واستحقاق لعملها الإبداعي بامتياز. خارج الكاثوليكون، في الفناء يوجد هيكل وبداخِلِهِ جُرن التقديس من الرُّخام الأحمر، وتمَّ بناؤه بأموال من الكاهن سيرافيم عام ١٧٨٣. ويوجد داخل القبة (عروض

أو صُور) حديثة تتعلَّق بالمعموديَّة وتقديس المياه. في الطابق الأرضي من الجناح الجنوبي للدير، مقابل مدخل الكنيسة المركزيَّة، توجد مائدة الطعام المشتركة، وَالذي بناها **الحاكم فلاخو ألكسندرو**، إنها واسعة جدًّا، وتحتوي على لوحات جداريَّة للرسامين الرهبان صُفرونيوس ونيكيفوروس من اسقيط أچيا آنا عام ١٨٥٩. يوجد بالداخل ما يلي من الأيقونات : رؤساء الملائكة والقديسَيْنِ قسطنطين وهيلانة . خارج الدير من جهة الشرق توجد القلالي الأربع، كنيسة الصعود والتجلِّي، مولد القديس يوحنا المعمدان، وانتقال العذراء مريم، والقديس أثناسيوس، وفي كاريس عاصمة جبل آثوس، تتواجد قلاية القديس ديميتريوس،كما أنها تمتلك **معظم مباني ميناء دافني المركزي لِكُلِّ جبل آثوس**. يحتوي **دير كسيروپوتامو** على العديد من الآثار القيِّمة والذخائر المُقَدَّسة، والكتب والمخطوطات، حيث تقع مكتبة الدير في إحدى جوانب الكنيسة المركزيَّة (نارسكس الكاثيليكون) وفيها ٤٠٩ مخطوطة، عشرون منها مصنوعة من اللفائف (الدَّرْجُ) ، بالإضافةِ إلى أكثر من ستة آلاف كتابٍ مطبوع.

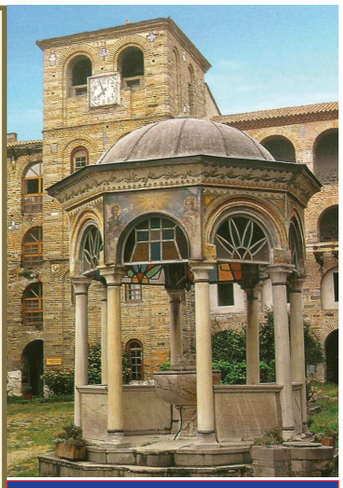
جرن المعموديَّة المتواجد في باحة الدير

يحتل **دير كسيروپوتامو** حاليًّا **المركز الثامن في تسلسل الأديرة الأثونيَّة**، وقد تمَّ تخفيض رتبته إلى هذا المركز في بداية القرن الماضي، بينما كان حتى ذلك الحين في المركز الخامس، الذي يشغله الآن **دير ديونيسِيُّو**. أما النظام المعيشي فهو جماعي ويبلغ عدده حوالي ٢٠ راهبًا، وخمسة من الرهبان الأعضاءِ المتواجدِينَ في الخارج في الصوامع والقلالي.

ومن روائع الآثار والنقوش النفيسة في **دير كسيروپوتامو** هو **«قرص بولخيريا»** الرائع الجمال. إنَّه حجرٌ أخضر فاتح مع ترصيع أسطواني منقوش ومذهب، قطر قاعدته ١٥ سم، وارتفاع القاعدة ٧ سم. هذا العمل الفنِّي، هو **من أثمن آثار جبل آثوس**، محاط بلوحة منقوشة ترتكز على قاعدة دائريَّة ذات قاعدة مُزَيَّنةٍ بجوهرةٍ على شكل وردةٍ. على الجانب الخارجي من الإطار تمَّت صناعة النقش بأحرف كبيرة:

هديَّة باحترام وتقدير - بوليخريا

DώPO CEBACTON - ΠΟΥΛΧΕΡΕΙΑC +

تقف **مريم العذراء** على قاعدةٍ مُزَخْرَفَةٍ، في وضعية كونترابُوستو ويداها مفتوحتان، وذلك لتكوين إطار واسع للرصيعة البيضاويَّة التي يصوَّر فيها يسوع المسيح على شكل تمثال نصفي. يوجد في إطار الميدالية نقش بأحرف كبيرة: وهي نَصُّ الترنيمة الشيروبيميَّة التي تُرَنَّم أثناء الدخول الكبير وهي أيضًا بدايةُ سِرِّ الشُّكر الإلهيّ.

الذخائر المقدَّسة في الدير:

يتم الاحتفاظ بذخائر وهامات الشهداء الجُدُد (الذين استشهدوا في حقبة الإضطهاد التركي العثماني المُستَبِدِّ)،ومنهم:**القديسَانِ نيكولاوس بانتوبولوس (١٦٧٢) وأوكسنتيوس (١٧٢٠)، والشهيد الجديد القديس كريستوس كيبوروس (١٧٤٨)**، الذي سُجن معه كايساريوس دابونتس. كما يتم الاحتفاظ **برفات القديسين: بروكوبيوس، أوكسنتيوس، إغناطيوس المتوشِّح بالله، غريغوريوس، مرقوريوس، أندراوس الكريتي، يوساف ملك جزر الهند، سليمان، خارالمبوس، باراسكيفي، بانديلامون، فوتيني السامرية، أنستاسيوس الإسكندري، الرسول برثلماوس، نيلوس المفيض الطيب، وكريستينا، ويوحنا الرحوم، ويوحنا الذهبي الفم، وباسيليوس الكبير، والقديسين الأربعين شهيدًا**.

خشبة الصليب المكرَّمة الأكبر في العالم – دير كسيروپوتامو، جبل آثوس

وأيضًا قطعة الخشب المقدَّسة من الصليب الكريم المُحيي، **لمخلصنا يسوع المسيح**، والتي وفقًا للتقاليد، تم التبرُّع به للدير من قِبَلِ **الإمبراطور رومانوس الأول ليكابينوس**. وهذه القطعة ، هي أكبر قسم باقٍ في العالم (هوائي رأسي **٣١ سم**، هوائي أفقي **١٦ سم**، سمك **٢،٥ سم**). وهي موضوعةٌ في علبةٍ ذهبيَّة صليبيَّة الشكل، وتُظْهِرُ ثُقب المسمار **المُرَصَّع بالياقوت**.

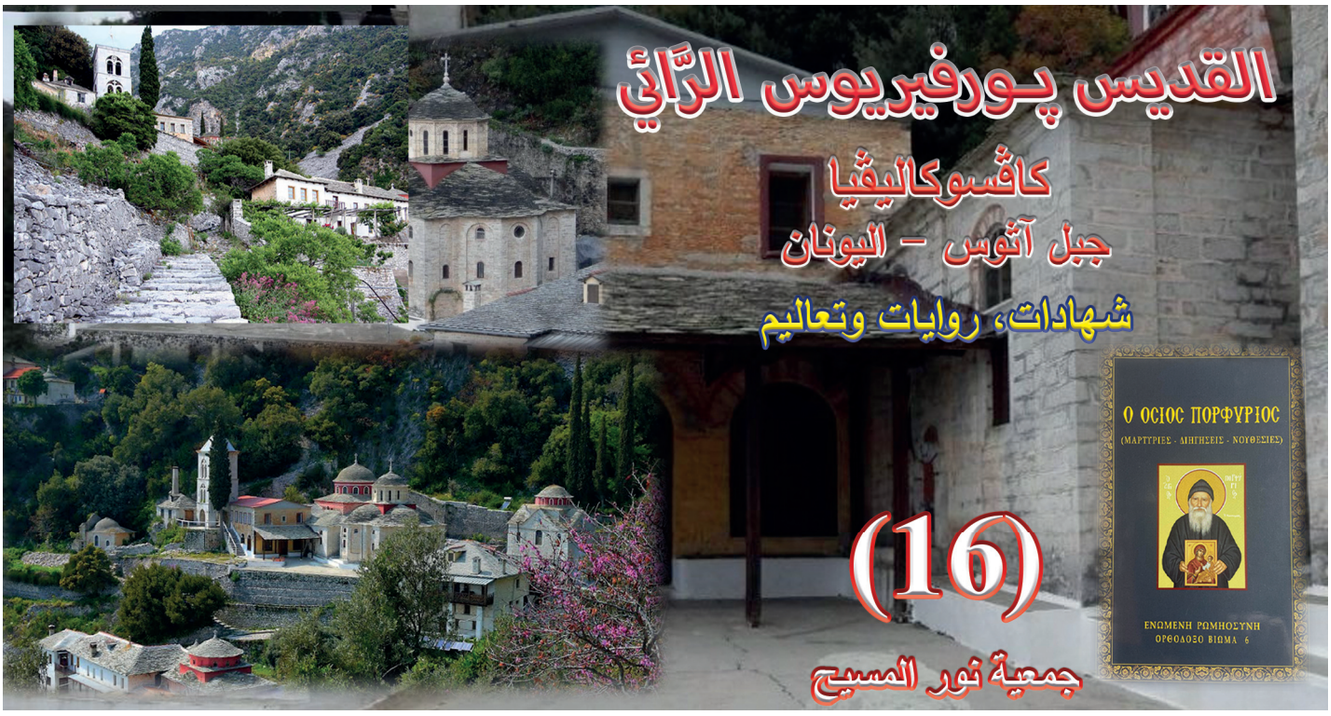

(تتمة من العدد السابق): وفي لقاءٍ آخر مع **القديس پورفيريوس**، أجابني: سأقولُ لَكِ شيئًا، يا ابنتي، وسوفَ تَضحكين، ولكن هذا سوفَ يحصل، ليسَ الآن ولكن قريبًا ، سوفَ تُصبحين رئيسةً للديرِ، هذا الدَّير الذي تتوَحَّدينَ فيه.

عندما سمعتُ هذا التصريح، تفاجأتُ، لأنَّ رئيسةَ الدَّير كانت ما تزال على قيد الحياة، وأيضًا فإنَّ الأخت المتوحدة التي كانت تتهيَّأ لتولِّي منصب رئاسة الدَّير، بعد رقاد رئيسة الدَّير الحالي الرئيسة إفستوخيَّا (حسبَ ما هو مُتَّبع في الأديار الرُّومِيَّة الأرثوذكسيَّة المقدَّسة)، شابَّةٌ ومليئةٌ بالقُوَّةِ والحَيَوِيَّةِ، فَبَدَتْ لي هذه الأمور غير منطقيَّة وبدا الأمر لي متناقضًا. بالفعل، سير الأمور، وتطورات الأوضاع أكَّدت ما قاله وَصَرَّحَ به **القديس پورفيريوس**، وبعد مرور فترة زمنيَّة وجيزة صرتُ رئيسةً للدِّير، **دير بشارة العذراء** في **جزيرة بطمس**.

كَشَفَت لي ذات مرَّة، المطوَّبة الذِكْرِ رئيسةُ الدِّير السابقة ييروندیسا إفستوخيَّا: إنَّها استشارت الشيخ پورفيريوس بخصوص العمل التبشيري في جزيرة رودس، وأيضًا بخصوص مؤسَّسة دار الأيتام للبنات اليتامى هناك، وهو الذي كان تابعًا لديرنا.

ييروندا، ما هو رأيك، وما هو تصوُّرك بخصوص مؤسَّسة دار الأيتام في رودس، نحنُ ذهبنا إلى هناك كما تعلَم بدافعٍ وأمرٍ من الوطن الأُم، وكان ذلك بعد الاندماج والتنسيق بين **جزر الدوديكانيز** (١)، والوطن الأم اليونان.

لهذا السبب أشارت الييروندیسا إلى موضوع انضمام واندماج هذه الجزر مع اليونان الأُم، سنة ١٩٤٧ م .

واستطردت الييروندیسا قائلة **للشيخ**: لقد مررنا بالكثيرِ من الصعوبات في رودس من أجلِ استمراريَّة عمل مؤسَّسة دار الأيتام، التي كانت عاملةً قبل قدومنا. هذه الأمور التي أقولها كانت حقيقَةً وموجودة بالفعل.

ولكن لـمَّا ذهبنا إلى دار الأيتام، وجدنا البنات اليتيمات في ظروفٍ سَيِّئةٍ وبائسةٍ. أيُّها الشيخ: وقد سَئِمنا مِنَ العملِ وتنظيم هذه المؤسَّسة مؤسَّسة دار الأيتام طوعيًّا. والآن أعتقدُ أنَّنا نستطيع ذلك الآن (أن نُغلق المؤسَّسة)، ونعود إلى ديرنا؛ فما هو رأيك أيُّها الشيخ الوقور؟.

فأجاب: إيَّاكُنَّ أن تُغادِرنَ مؤسَّسة دار الأيتام، أُتركي الموضوع، ضَعي الأمر بين يَدَيِ الرَّبِّ، الله نفسه يغلقها إن أراد، ولكن لستِ أنتِ صاحبة القرار.

واعلَمنَ إنَّكُنَّ ستَستفيدَنَّ، وأيضًا الناس سوفَ يستفيدون بأقصى حَدٍّ من جراءِ تواجُدِكُنَّ هناك في مؤسّسة دار الأيتام في جزيرة رودس

في إحدى لقاءاتهم الأُخرى، كانت اليروندیسا إفستوخيَّا قد اتخذت القرار بإبعادِ أُختين من ديرنا، لأنَّهما كانتا غير مُطيعَتيْنِ، وتُوَلِّدانِ الاضطراب للأخويَّة. سألت البار پورفيريوس حول هذا الموضوع، فأجابها بقسوةٍ: «ليسَ لديكِ الحقَّ أيَّتُها اليروندیسا الآن وقد صارتا راهبتَينِ أنْ تقومي بِطَرِدِهما، لأنَّكِ تحملين مسؤوليَّة عن ذلك. فإذا أُصيبَتَا باليَأسِ، لا أعلم ماذا يكن أنْ تفعلا، وعندها ستكوني أنتِ المسؤولة، سأقول لكِ نصيحة حتى تعرفي للمرَّةِ القادمة. عندما تأتي فتاةٌ راغبةٌ في الرهبنةِ ستخدمينها تحت التجربة لمدة ثلاث سنوات على الأقل بمحبَّةٍ كبيرة، فإذا وجدتِ أنَّها لا تَصلُح أن تكون راهبة، فَلَكِ كُلُّ الحقِّ أنْ تقومي بِطَرِدِها، بينما بعد الرسامة الرهبانيَّة فلا يمكن طَردها. وتابَعَ قولَهُ: لماذا تقومين بهذا النُسك؟ أَلَا تستطيعينَ أنْ تصبُري قليلًا؟ ستحظينَ على أجرِك. يفيد اليروندیسا أن (تتواضع) (تواضع ذاتها في بعض المرَّات).

١) (ملحوظة: **جزر الدوديكانيز** تعني الجزر الإثنتي عَشْرَة حسب ترجمتها الحرفيَّة، ولكنها عبارة عن خمس عَشْرَةَ جزيرة كبيرة وَ **١٥١** جزيرة صغيرة أُخرى، الموجودة في بحر الكارپاثوس ضمن بحر إيجة، بالقُربِ من الساحل الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى، تُعَدُّ وتُعتبرُ هذه الجُزر جزءًا لا يتجزَّأ من الأراضي الإقليميَّة اليونانيَّة، ولها تاريخٌ حافلٌ وغنيٌّ، فكانت في الماضي تحت سيطرة قِوى إقليميَّة غاشمة، ومنها تركيا الحاليَّة، وإيطاليا، وحتى المانيا النازيَّة خلال الحرب العالميَّة الثانية. حتى أصغر الجُزر يمكن أن تفتخر بالكنائس الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة الرائعة الشامخة فيها، وأيضًا هناك القلاع الفريدة والمميزة من فترة العصور الوسطى).

التتمة في العدد القادم

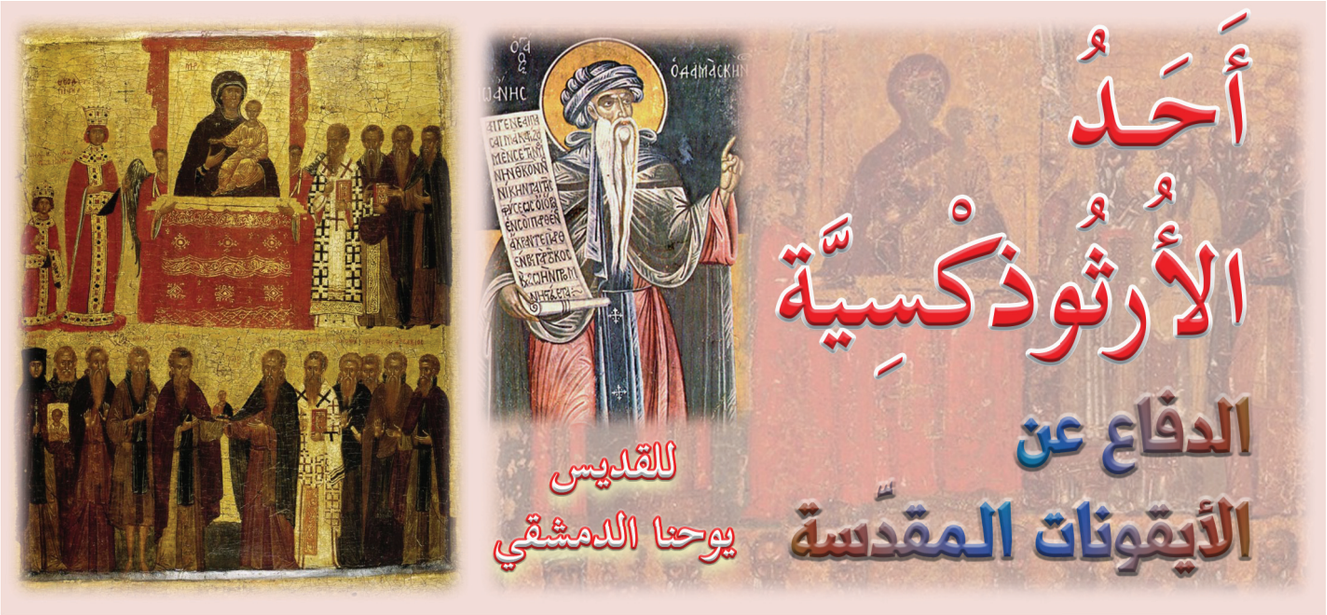

«اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ...» (عبرانيين ١:١-٣)

تمهيد

الأيقونة هي سِرُّ تَأَنُّسِ اللهِ وتَأَلُّهِ الإنسان. إنَّها مُلَخَّصُ سِرِّ التدبير الإلهيّ الناجِزِ في تنازُلِ الابن الذي كَشَفَ لنا الآب، وَوَهَبَنا الرُّوحَ مِنْ لَدُنِ الآب، مُعْتِقًا إيَّانا من عبوديَّةِ الموتِ، ومُحَتَذِبًا إيَّانا بشبكةِ الصَّليب، الذي سُرَّ **الكلمة** أنْ يُعَلَّق عليه بالجَسَدِ، لأَجلِ ٱستنارتنا بِمعرِفَتِهِ وٱتِّحادنا بِوِحْدَتِهِ. إنَّها قِمَّةُ مَحَبَّةٍ تَجْمَعُ الإنسانَ **بكلمةِ اللهِ** الذي هو صورةُ **الآب** غير المنظور، وَمسكنُ **الرُّوح القُدُس** المُنبَثِق من الآب، والمُستريحُ في القدِّيسين، والذي ارتَضَى بمشيئةِ صَلاحِهِ أنْ يُرى بالجَسَدِ، هو الذي تستحيلُ رؤيته في **جوهره الفائق الجوهر**، وإنْ اتَّخَذَ طبيعتنا، وصَارَ إلى ما لم يَكُن، حُبًّا منهُ للبَشَرِ، ورغبةً منه في رَفعِ المُؤمنين به حقًّا إلى حيثُ لم يبرح، أي إلى ملكوت الثالوث القُدُّوس الواحد غير المُنقَسِم.

الأيقونة مِنْ ثَمَّ هي سُلَّمٌ إلهيٌّ لهذه المَحبَّة التي لا تُسْبَر، ونافِذَةٌ على الأبَدِيَّة تحملُ إلينا نَسَمَات المُعَزِّي، وَتَسْبينا إلى السبيل الفردوسيّ. إنَّها ظَفَرٌ للإيمانِ الرُّومِيِّ الأرثُوذُكسي، وَبَهجَةٌ لكنيسةِ اللهِ الجامعةِ المقدَّسةِ الرسوليَّةِ. إنَّها فَخرٌ للمسيحيِّين، وَخِزيٌ لِمَنْ يُحارِبونَها. إنَّها سلاحٌ للمُجاهِدين، وهزيمةٌ لِمَنْ يضطهدُونها. إنَّها سَنَدٌ للشُّهداءِ، وداحرةٌ للشَّياطين. إنَّها بِشارةٌ **بالألوان** لا بالكَلِمَات، ومائدةٌ شُكريَّةٌ تحملُ إلينا نِعَمَ الأشفية مِنْ لَدُنِ المُخَلِّصِ. إنَّها نورٌ للسَّالِكين في ظلالِ الموتِ، وهداية للخطأةِ أي التوبةِ. إنَّها مدرَسةُ صَلاةٍ تُواكِبُ الأقوالَ الإلهيَّةَ لِنُمُوِّ المُؤمنين بحَسَبِ الرُّوحِ. إنَّها سماءٌ منفتحةٌ على أرضِنَا باستمرار لِتُعَلِّمنا كيفَ نكونُ ملائكة في أجسادٍ لِمَجدِ اللهِ السَّنِيِّ. إنَّها رِسالةُ حُبٍّ إلهيٍّ مَفْضُوضَةٌ يقرأُها الأُمِّيُّونَ أنفسهم، فيعرفوا أنَّ الرَّبَّ قامَ حقًّا، وظَهَرَ لنا مُمَجَّدًا في قِدِّيسيهِ. إنَّها سَفيرَةٌ للأمانَةِ الإلهيَّةِ – هنا والآن – تَحُضُّنا على أنْ نكونَ في سلامٍ مع اللهِ وإخوتنا دائمًا ... وَلِأجلِ ذلك نُوَقِّرُها وَنُقَبِّلُها كما يليقُ باللهِ، ونَسجُد أمامها عابدين اللهَ المُصَوَّر عليها، والمُتَجَلِّي في قِدِّيسيهِ المُصَوَّرينَ عليها، والجديرين بِكُلِّ ٱحترامٍ وَمَديحٍ، لأجلِ السيِّدِ المُستريحِ فيهم، نعمةً منه عليهم، وَجِهادًا منهم لأَجْلِهِ، وَقُدوَةً لنا لِنُجاهِدَ نَحنُ أيضًا في سبيلِ هذه النعمة عينها.

١ – لمحةٌ تاريخيَّةٌ:

في مطلع القرن الثامن، ثارَت حَرَكَةُ عِداءٍ تُجاه الإيقونَةِ المُقَدَّسةِ، ولا سِيَّمَا في آسيا الصُغرى، وقد حَصَلَ ذلك رُبَّمَا بتأثيرٍ مُشتَرَك من اليهوديَّة والإسلام كونَهُما دِيانَتَيْنِ مُعَادِيَتَيْنِ للصُّوَرِ. أمَّا **الإمبراطور البيزنطي لاون الثالث الإيصوريّ**، فإذْ داخَلَهُ الشَّكُّ بشأن الإيقونات؛ عَمَدَ إلى إقحام هذه الحَرَكة في النِّطاقِ السياسي، وفي سنة ٧٣٠ أصدَرَ مرسومًا يجعل الأَيقونات في عداد الأمور الخارجة عن القانون. بيدَ أنَّ البطريرك القسطنطينيّ جرمانوس المُؤَيِّد للإيقونات، قد رَفَضَ الموافقة على هذا المرسوم، مُؤْثِرًا التَخَلِّي عن مَنصِبِه، والانسحاب إلى أحدِ الأديرة؛ كما اتَّخَذَ البابا غريغوريوس الثاني موقِفًا مماثلًا إزاءَ المرسومِ الإمبراطوريّ.

ومع ذلك، بَقِيَ تطبيق هذا المرسوم مُعتَدِلًا في أيام الإمبراطور. وما أنْ تَوَفَّى سنة ٧٤١ حتى خلفه **ابنه قسطنطين الخامس** الذي أعطَى بُعدًا جديدًا للصِّراعِ ضِدَّ الأيقونات. فقد أطلَقَ حملةً من الجدالات العامَّة للإقناعِ بوجهةِ نَظَرِهِ، وأنشَأَ مقالة تبدو وكأنَّها خُلاصة للاعتقادات المُناهِضَة لِلْأيقونات، والتي ارتكز عليها من ثَمَّ أولئك الذين اقتفوا آثاره مِنْ بَعدُ.

وفي سنة ٧٥٤، دعا الإمبراطور إلى **مجمع هييريا** حيثُ دِينَت الإيقونات رَسميًّا، وَحُرِمَ مُؤَيِّدوها. وكان من عداد المحرومين البارزين قدِّيسُنا يوحنَّا الدمشقيّ الذي كان قد تُوفِّيَ قبل ذلك (حوالي سنة ٧٥٠)، والذي قيلَ عنه في المجمع المذكور بِأَنَّهُ مِمَّن يُجاهرون بآراءٍ مُحَمَّديَّة، وأنَّهُ عدوُّ الإمبراطوريَّة، ومُعَلِّم الكُفْرِ وَمُوَقِّرُ الصُّور. كما

نسَبَ هذا المَجمع ابتكار الأَيقونات إلى إبليس، واستَنَدَ على المجامع المسكونيَّة السِّتة لِيُبَرهِن استحالة تصوير المسيح بِفصلِهِ طَبيعَتيْهِ واحدتُهما عن الأُخرى، ولم يعترف بشرعيَّة أيٍّ من الصُّوَرِ ما خلا الصليب والإفخارستيَّا.

عندئذ بدأت المرحلة العنيفة الأولى ضدَّ الإيقونات، حيثُ شَرَعَ المُضطهدون في تحطيمِ الصُّوَر أيًّا كانت، وَوُضِعَ الصليب بدلًا منها في أماكن عديدة. وانبرى الرهبان خصوصًا يقودون المقاومة ضدَّ هذا التدنيس الحاصِل، وضِدَّ تَدَخُّل السُلطة السياسيَّة في شأنٍ كَنَسيٍّ مَحضٍ، ممَّا أَدَّى إلى وفرةٍ منَ الشُهداءِ الذين كان **جنود الإمبراطور** يُحَطِّمونهم بعد تحطيم الأَيقونات.

وفي سنة ٧٧٥ انتهى الاضطهاد **بموتِ قسطنطين الخامس**. وبعد اثنتي عشرة سنة، أي في سنة ٧٨٧، إلتَأَمَ في نيقية المجمع المسكوني السابع الذي عَزَّزَ شَرعيَّة الأَيقونات عَلَنًا، وَوَضَعَ حَدًّا للمرحلَةِ الأولى من الحربِ، وذلك لأنَّ مرحلةً ثانية ستبدأ من جديدٍ في القرن اللاحق، وحيثُ سيبرز في المُقاومة اللاهوتيَّة هذه المرَّة القدِّيس ثيوذورس الذي من دير ستوديون بالقسطنطينيَّة.

٢ – نِضَال القدِّيس يوحنَّا الدِمشقيّ:

لم يتأَلَّم قدّيسنا جَسَديًّا من اضطهادِ مُحطِّمي الأَيقونات. فقد وُلِدَ وتَرَعْرَعَ في سوريا وترهَّب في فلسطين، و كان كِلا البَلدين خاضعين للسيطرة الإسلاميَّة آنذاك، ومن ثَمَّ فلَم يكن مُتعلِّقًا لا بالإمبراطور ولا بالبطريرك القُسطنطي، ولكنَّه كمسيحيّ شرقيّ ذي ثقافةٍ يونانيَّة، كان معنيًّا بالنزاعِ ولم يكن باستطاعته السُكوت عمَّا يجري. وقد استرعت كفاءَتُهُ اللاهوتيَّة انتباهَ البطريرك الأورشليمي يوحنَّا الخامس، الذي كان يَسعى إلى المقاومة مُذْ أصدَرَ **لاون الثالث** مرسومه الجائر. كما ومنَ المُؤَكَّد أنَّ مُجرَّد وجوده بعيدًا عن مُتناول الجيش الإمبراطوري قد وَفَّرَ له حُريَّة التفكير لا مثيلَ لها. وينبغي الإقرار أيضًا بأنَّ وفاته قد حصَلَت قبلَ شَنِّ الإضطهاد العنيف على الأَيقونات أيَّام **قسطنطين الخامس**، ولكن بعد أنْ وَضَعَ الأُسُسَ التي سيبني خُلفاؤه في هذا المجال لاهوت الصُّور المُقَدَّسة، فكانَ بذلك أوَّل مَنْ حاوَلَ التَصَدِّي لمُحارِبي الأَيقونات بلاهوت مُحكَم الإعداد.

وهنا، لا بدَّ من الإشارة ولو بشكلٍ سريع إلى أبرز الأحداث في سيرة القدّيس يوحنا الدمشقيّ.

هو منصور بن سرجون، وُلِدَ في دمشق نحو سنة ٦٧٥ ضمن أُسرةٍ من المعنيِّين بجمع الضرائب لدى أصحاب السُلطة. وقد خَدَمَ جَدُّهُ منصور، ثُمَّ والده سرجون على السَّواءِ كُلًّا من الفُرسِ والرُّوم والمسلمين. لا بَلْ إنَّ والده قد ساسَ الإدارة الماليَّة كلّها أيام الخليفة معاوية، كما كان يمثِّل جماعة المسيحيِّين الخلقيدونيِّين الأُرْثُوذُكس المستقيمي الرَّأي في المدينة، لدى أمير دمشق.

وهكذا زاوَلَ القِدِّيس أيضًا المَهَمَّةَ عينَهَا، فأشرَفَ لسنواتٍ عِدَّة على تحصيلِ الضرائب من مسيحيِّي مقاطعة دمشق لدى أميرها. وفي هذه المرحلة من حياته، إحتفَظَ بمعرفة عميقة للإسلام نتيجة لعلاقاته في البَلاطِ الخلافيّ وخارجه. (أنظر كتابه «الهرطقة المئة»).

وفي سنة ٧٢٠ قرَّرَ الخليفة الجديد أنْ يُقصِي المسيحيِّين عن المَناصِب الإداريَّة العُليا، فانسَحَبَ القدِّيس إلى دير القدِّيس سابا المُتقَدِّس بالقُربِ من أورشليم، حيثُ ترَهَّب قَبلَهُ قُزما أخوهُ بالتبَنِّي، وحيث عاشَ أيضًا مُعلِّمه قُزْمَا الرَّاهِب الذي كانَ قد لَقَّنَهُ العُلوم في صباه، وكانَ قد ناهزَ آنذاك الأربعين سنة من عُمرِهِ فعُرِفَ باسم يوحنَّا. ثُمَّ ما لَبِثَ البطريرك الأورشليمي يوحنَّا الخامس أنْ رَسَمَهُ كاهنًا، فأصبَحَ مُستشاره اللاهوتيّ. وإلى هذه الفترةِ من حياته يعود نتاجه الفكريّ، سواءٌ في اللاهوت والتفسير الكتابيّ أَمِ المواعِظ، والأناشيد، والمقالات الدفاعيَّة. (ملحوظة: المواعظ المميّزة هي: **لميلاد ورقاد والدة الإله الكليّة القداسة والدائمة البتوليَّة مريم**.)

٣ – الخطابات الثلاثة في الدفاع عن الإيقونات:

بعد أنْ أصدَرَ **لاون الثالث** مرسومه سنة ٧٣٠ ، لم يتأخَّر قدّيسنا في تأليف خطابه الأوَّل ليكونَ بمثابةِ مُرافعة مُرفَقة بمختارات من الشواهِد. فأضحى هذا الخِطاب أوَّل خُلاصة تُفَنِّد المَزاعِم المُناهضة للإيقونات، وتُبرهن أنَّ إكرام الإيقونات إنَّما هو تقليد مُحكَم التأسيس منذُ البَدء.

وإثرَ بعضٍ من رَدَّات الفعل على الخطاب الأوَّل – والتي تُلَمِّح إليها مُقدَّمة الخطاب الثاني – سارَعَ إلى توضيحه وإكمالِه في خطابٍ ثانٍ حولَ الموضوعِ عينه.

وفي أواخِر حياته، أعادَ القدِّيس الكَرَّةَ منْ جديد إزاءَ تطوُّر الأزمَةِ على عهدِ **قسطنطين الخامس**، فكان خطابه الثالث مدعومًا هذه المرَّةِ بِأدلَّةٍ أوفَرَ وبزيادة ملحوظة على مختاراته الآنفة الذِّكر.

وقد وَصَلَنا ما يُقارب الثلاثين مخطوطًا عن هذا العمل، ولكن دون أنْ تكون الخطابات الثلاثة مجموعةً في المخطوطِ عينه. باستثناء مخطوط واحد يحويها كلّها، وهو **مخطوط نيابوليس** *54* (*II B16*) الذي يعودُ إلى القرن الثامن، والذي استند إليه **بونيفاس كوتر الألماني** (*Kotter*) في نَشْرِهِ لمُؤَلَّفات القدِّيس.

وإنَّ ترتيب هذه الخطابات الثلاثة قد يُحَيِّر البعض، بيدَ أنَّنا لا نُقَدِّم ثلاثة خطابات مُستقلَّة متتالية، بل خطابًا واحدًا كما جاءَ عند **كوتر** بُغية تسهيلِ قرائتها.

أخيرًا أراني مدفوعًا إلى الصمتِ، فقد آن الأوان ليتكلَّم القدِّيس، وحينما يتكلَّم الآباء القدّيسون، ما على الأبناء إلَّا الإصغاء بِشَغَف يَقِظ، والسعْي بِدَأْب مُقَدَّس إلى العملِ بما يُملُونهُ عليهم؛ فعسانا نكون من الأبناء الأُمناء، وعندئذٍ فقط نكون من عُبَّاد الله بالرُّوحِ والحَقِّ، هو السجود له آبًا وابنًا وروحًا قُدُسًا، الآن وإلى أبد الدهور، آمين.

طروباريَّة أحد الأورثوذكسيَّة:

لصورتك الطاهرة نسجد أيها الصَّالح طالبين مغفرة ذنوبنا ايها المسيح الاله. لانك ارتضيت ان ترتفع بالجسد على الصليب طوعًا لتُنجِّي من عبوديَّة العدوِّ الذين جبلتهم. فلذلك نهتف اليك بارتياحٍ لقد ملأتَ كلّ الخلائق فَرحًا يا مخلصنا بمجيئك لخلاص العالم.

خطاب دِفاعيّ
لأبينا في القِدِّيسين يوحنَّا الدمشقيّ
ضِدَّ رافضِي الصُّوَر المُقَدَّسة

✞ مقدِّمة الخطاب الأوَّل:

١:١ أَوَ كان ينبغي متابعة سكوتنا والاعتراف بأخطائنا الخاصَّةِ للهِ، في حين أنَّا كُنَّا مُدرِكين كُلِّيًّا لِكُفْرِهِم؟ لا، إذْ يَحسُن التصرُّفُ حينما يجب التصرُّف. والحال أنَّ الكنيسة التي بناها الله على هذه الأُسُسِ التي هي الرسلُ والأنبياء والتي حجر الزاوية فيها هو المسيحُ ابنُهُ، أراها مُرهَقةً من جرَّاءِ موجِ البحرِ المُفعَمِ من العواصفِ التي تكدُّها الواحدة تِلو الأُخرى، ومُشَوَّشةً ومضطربةً تحتَ وطأة الرِّياحِ السَّيئة المُضنِية. أرى قميصَ المسيحِ المنسوجَ منذُ زمنٍ بعيدٍ والمُمَزَّقَ الآنَ مشقوقًا من **أولادِ الزَّندقات**، وأرى جَسَدَهُ مُقَسَّمًا بين مُعتقداتٍ متناقضة، هذا الجسد الذي هو شعبُ اللهِ وتقليدُ الكنيسة القديمُ الوطيدُ في آنٍ معًا. ولِذا فَكَّرتُ بِأنَّهُ مِنَ الحماقةِ بمكانٍ أنْ أسكُت وأنْ أَلجِم لِساني، إذ خشيتُ هذه التنبيهاتِ المُنذِرة: «إنْ تقاعَسْت فلا ترتضي بك نفسي» و «إن رأيتُ السيفَ مُقبِلًا ولم تُعلِم أخاكَ بذلك فمنكَ أطلب تعويضًا عن الدم المسفوك» (انظر حزقيال ٣٣:٦-٨).

وإذْ حَرَّكني أيضًا خوفٌ مُريعٌ، صَمَّمْتُ على التكلُّم دونما إيثارٍ لِعظَمَة الأباطرة (١) على الحقيقة. وسمعتُ داودَ جَدَّ الإله قائلًا: «لأنِّي أتكلَّم {بشهاداتك} قُدَّام الملوك ولا أخزى» (مزمور ١١٨:٤٦)؛ وهذا ما يدفعني أيضًا على التكلُّم أكثر فأكثر. لا جَرَمَ أنَّ كلامَ مَلِكٍ هو مرهوبٌ لإخضاعِ الرعايا؛ وقد تمكَّنَ أُناسٌ قليلون من إهمالِ الأوامرِ المَلَكِيَّةِ، وذلك لأنَّ القليلين من الناسِ يعلمون بأنَّ الملوك على الأرضِ إنَّما يُساسونَ من فوق وأنَّ النواميس (٢) تسودُ عليهم.

٢:١ إذًا، استحضرتُ عزمَ الحِفاظِ على التشريعِ الكنسيِّ قبل كُلِّ شيءٍ كأساسٍ أو قاعِدَةٍ لتفكيري – هذا التشريع الذي ينجم عنه الخلاصُ طبيعِيًّا – ثمَّ أطلقتُ العِنانَ لكَلامي دافعًا بهِ كمثلِ جوادٍ جامحٍ خارج الميدان. فقد فكَّرتُ في الواقع بأنَّهُ {لأمرٌ} مرهوبٌ، ومرهوبٌ أكثر من كُلِّ شيء {آخر}، أنْ تعود الكنيسةُ الساطعة بأمجادٍ جَمَّة والمُزدانةُ منذُ زمنٍ بعيدٍ جدًّا بتقاليد الناس الأكثر وَرَعًا لتتعلَّق بتفاصيل غيرِ مُهِمَّةٍ وأنْ ترتعد خوفًا حيث لا داعي للخوفِ: فهي تحذَر مِنَ الميلِ إلى عبادة الأوثان (٣) كما لو كانت تجهل لإله الحقيقيّ، وتُنزِل من كمالها قليلًا، و كما لو كانت تملك في وجهٍ جميلٍ للغاية عيبًا صغيرًا يُفسِد المجموعَ بانحرافه الطفيف نسبةً إلى الجمال. لا جَرَم أنَّ ما مِنْ شيءٍ صغير إذا ما ارتبط بشيءٍ عظيم. وفي هذه الحالة المحدَّدة، ليس خطأً صغيرًا من ثمَّ أن يُقلَب تقليدُ الكنيسة (٤) الذي رَجَحَ منذُ زمنٍ بعيدٍ جدًّا، وذلك في توجيه اللوم إلى زُعمائنا (٥) الذين كان الأجدر بنا أنَّ نُراقب نهجَ حياتهم وأنْ نقتديَ بإيمانهم.

٣:١ إنَّني أُناشد إذًا، وقبل كُلِّ شيء، الرَّبَّ الكُلِّيَّ القُدرةِ الذي أمامَهُ كلُّ شيءٍ مُجَرَّدٌ ومَكشوفٌ. وإليهِ يتوجَّهُ خِطابي، لأنَّهُ عالِمٌ كم هو نَقِيٌّ فِكري المُتواضِعِ ها هنا وكم هي صادقةٌ نِيَّتي. ولذا أتَوَسَّلُ إليهِ أنْ يُلهِمَني الكلامَ حينما أفتَحُ فمي، وأنْ يقبضَ بيدَيهِ على زِمامِ فِكري، وأنْ يجتَذبه إليهِ لِأتَمَكَّنَ من المُضِيِّ قُدُمًا في طريقٍ مُستقيمٍ سَوِيٍّ دونما انحرافٍ البَتَّةَ إلى ما يبدو و كأنَّهُ الجانبُ الحسنُ زُورًا، ولا إلى ما عُرِفَ حقًّا على أنَّهُ {الجانب} السَّيء. وبَعدَهُ أُناشِدُ أيضًا جميعَ شعبِ اللهِ، والأُمَّةَ المُقَدَّسةَ، والكهنوتَ المُلوكِيَّ، وكذلك راعِيَ قطيعِ المَسيحِ البَشريِّ الصَّالِحَ الذي يُبَيِّنُ في شخصِهِ الترتيبَ {الذي وَضَعَهُ} المَسيحِ(٦)؛ وإليهِ أتَوَسَّلُ أنْ يتقَبَّلَ خِطابي بِرِفقٍ دونَما اهتمامٍ مُطلَقًا بِصِغَرِ مَنزِلَتي الوَضيعِ، ودونما تَفَحُّصٍ أيضًا لدقائِقِ أقوالي، فإنِّي في ضعفي مُجَرَّدٌ من ذلك قَطعًا. وَلْيهتَمُّوا بالأحرى بمعنى أفكاري «لأنَّ ملكوت السموات ليسَ بالكلامِ، بل بمعنى {الكلامِ}» (١ كور٤:٢٠). فهدفي ليسَ القَضاءَ على الحقيقةِ عندما تُحارَبُ بل مَدَّ اليَدِ لها، وهي نِيَّتي أن أُقَدِّمَ لها المعونة، فقَبلَ كُلِّ شيء إذًا، ألتَمِسُ عونَ «الحقيقة المُتَأَقْنِمَةِ» (٧) قبل الشروعِ في خِطابي.

✞ مقدِّمة الخطاب الثاني منَ الراهبِ الوضيع يوحنَّا الدمشقيّ ضِدَّ مُستَنكِري الصُّوَر {المقدَّسة}.:

١:٢ اصفحوا عَمَّن يَلتَمس الصَّفحَ يا سَادَتي، واقبَلُوا بأنْ أتكَلَّمَ بثقةٍ تامَّةٍ، في حين أنِّي لستُ سوى خادِمٍ وضيعٍ ومسكينٍ لكنيسة الله. إذْ لمْ أندَفِعْ في خِطابي من أجلِ المجدِ أو العَظَمَةِ، واللهُ شاهدٌ عَلَيَّ في ذلك، بَل حُبًّا بالحقيقَةِ. فَهُنا في الواقعِ أَمَلِي الوحيدُ بالخَلاصِ الذي أرجو بفضْلِهِ أنْ أستطيعَ مُلاقاةَ المَسيحِ سَيِّدي، والذي أُصَلِّي حتى أتمَكَّن من التكفيرِ عن أخطائي العَبَثِيَّة بتقدمته إليه. وذلك لأنَّ من اقتَبَلَ خمسَ وَزَناتٍ من السَّيِّدِ رَبِحَ فوقها خمسَ {وَزَناتٍ} أُخرى وحملها إليه، والذي اقتبَلَ وزنتين فعَلَ كذلك، وأمَّا منْ لم يقتبل سِوَى واحدة فقد مضَى ليطمرها و حَمَلَ إلى السيِّدِ هذا الخيرَ الذي لم يستثمره، فاعْتُبِرَ عبدًا رديئًا ، وَحُكِمَ عليهِ بأنْ يُطرَحَ في الظلماتِ الخارجيَّةِ.(متى٢٥:١٤-٣٠). وإذْ أَخشَى من حُصولِ ذلك لِي أُطيعُ أمرَ رَبِّي، وموهبة الكلام التي أعطانيها أُقَدِّمها لكم يا صَيَارِفتي النُّبَهاء. هكذا، عندما يأتي الرَّبُّ يجدُ خيرَهُ مُضَاعَفًا وَمُخْصِبًا في النفوسِ، فيعتبرني عندئذٍ خادمًا أمينًا، ويقودني إلى فَرَحِهِ

الجزيلِ العذوبَةِ والمُشتَهى كثيرًا. ولكن أَرهِفوا السَّمْعَ إليَّ، وافتحوا مَتاجِرَ قلوبِكُم، وتقَبَّلُوا فيها خطابي؛ ثُمَّ بتُّوا في قيمة أقوالي بصراحةٍ كُلِّيَّةٍ. فقد أَلَّفتُ هذا الخطاب الثاني عن الصُّوَر بناءً على رأيِ بعض أولاد الكنيسة، إذْ لم يُحكَم في الأوَّلِ تمامًا من مُعظَمِ الناس؛ ولكن اصفَحوا عنِّي لإرضائي الطَّاعَةَ في ذلك أيضًا.

✝ مقدِّمة الخطاب الثالث منَ القدِّيس يوحنَّا الدمشقيّ هو عينه ضِدَّ رافِضي الصُّوَر المقدَّسة الجليلة.:

٢:٢:٣/١ من عادة **الحيَّة الفاجرة مَبدأ الشَّرِّ** – أعني بها **الشَّيطان** – أنْ تُحارب بأعمالها العدوانيَّةِ، وبألفِ طريقَةٍ، الإنسانَ الذي صُنِعَ على صورة الله وأنْ تَدُسَّ {فيه} هَلاكَهُ. فقد غَرَست فيه لِساعتها، ومنذُ البَدءِ، رَجاءَ التَأَلُّهِ والرغبةَ فيه، فَأَفضَت به هكذا إلى معرفةِ موتِ الكائناتِ المَسلوبةِ العقلَ، وكثيرًا ما سَعَت إلى اجتذابه بِمُتَعٍ شائنةٍ وَمُخالِفَةٍ للعقلِ. غيرَ أنَّ البُعدَ شاسِعٌ بين التَأَلُّهِ والرَّغبةِ المخالفةِ للعقلِ! وقد دَفَعَتهُ تارَّةً إلى عَدَمِ الإيمانِ باللهِ، كما قال داود جَدُّ الإله: «قال الجاهِلُ في قلبه ليسَ إله» (مز١٣:١ ، ٥٢:٢)، وطورًا إلى الإيمان بعدَّةِ آلهة. وَأَقنَعتهُ تارَّةً بعَدَمِ السجودِ لِمَنْ هو إلٰهٌ بالطَّبْعِ، وأمرتهُ طَورًا بالسجودِ للشَّياطين، أو أيضًا للسماءِ والأرضِ والشمس والقمر والكواكب والخليقة بأسْرِهَا، وحتَّى للوحوشِ والأفاعي. ومِمَّا لا يُحتَملُ أيضًا أَلَّا يُؤَدَّى الإكرام اللائقُ بالكائنات التي تستحقُّهُ مِنْ أنْ يُنعَمَ بمَجدٍ غيرِ موافقٍ للكائناتِ التي لا تستحقُّه !

وقد لَقَّنتِ البعضَ بأنْ يقولوا إنَّ الشَّرَّ لا بَدءَ له نظير الله (٨) ، وخَدَعت بذلك آخرين لِيُسَلِّموا بأنَّ علَّةَ الشَّرِّ كانت الله نفسه، في حين أنَّهُ صالحٌ بالطَّبْعِ. وَغَرَّت بعض الحَمقَى القائلين بطبيعَةٍ واحدةٍ ، أقنومٍ واحدٍ إلهيَّين (٩)، وأفسَدت آخرين حتى تُلزِمَهُم بأنْ يُوَقِّروا بِكُفرٍ ثلاثة طبائع وثلاثة أقانيم (١٠). وَأخيرًا، دفعت البَعض إلى التصوُّر بأنَّ لربِّنا يسوع المسيح – له وحده في الثالوث القدُّوس – أُقنومًا واحدًا وطبيعةً واحدةً (١١)، وأَرغمت آخرين على الاعتقاد بعكسِ ذلك، أي بأقنومين وطبيعتين (١٢).

٢:٣:٣/١ والحال أنَّ الحقيقة التي تتقدَّم في وَسَطِ الطريق إنَّما تَستهجن كُلَّ هذه السَّخافاتِ وتُعَلِّمُ بأنْ لا يُعترف إلَّا بإلٰهٍ واحدٍ وطبيعةٍ واحدةٍ في ثلاثة أقانيم، هي: الآب والابن والرُّوح القُدُس(١٣). وتقول أيضًا بأنَّ لا جوهر للشَّرِّ بل هو حادثٌ طارئٌ أو فكرٌ أو قولٌ معاكِس للناموس الإلهيّ، وأنَّهُ لا يوجَد إلَّا في الفكر أو في القولِ أو في الفعلِ ومعها يتلاشى(١٤). وهي تُنادي فوقَ ذلك بالمسيحِ أحدِ الثالوثِ القُدُّوس، والذي يملك طبيعتين اثنتين وأُقنومًا واحدًا في آنٍ معًا (١٥).

٢:٤:٣/١ أمَّا شاطِرُ الحقيقةِ هذا، وهذا **العدوّ** لخلاصِ البَشَرِ – الذي لم يَخدع الشعوبَ في القديمِ غالبًا وحسب، بل أيضًا بني إسرائيل أنفسَهم (خروج ٣٢) حتى يَصنعوا لهم صُوَرَ شياطينَ وأناسٍ مُلحدين وعصافيرَ وحيواناتٍ مفترسة وزواحِف، ويسجدوا لها كما لآلهةٍ – فيُحَاول اليوم أنْ يُعَكِّرَ كنيسة المسيح التي في سلام، وبشَفَتيه الباغِيَتَيْنِ ولسانِهِ الخَدَّاعِ يُتَوْبِل خُبثَهُ بأقوالٍ إلهيَّةٍ (١٦)، هذا الخُبث الذي يُحاوِل إخفاءَ مَظْهَرِهِ البَشِعِ والمُظْلِمِ حتَّى يُزَعزِعَ قُلوبَ الضُعفاءِ مُبعِدًا إيَّاهُ عن التقليدِ الحقيقيّ الذي نقَلَهُ لنا آباؤنا.

٢:٣/٤:٢ فقد انتَصَبَ البَعضُ **(هم مُحارِبو الأَيقونات)** ليقولوا إنَّهُ لَمْ يكُن لازمًا أنْ تُصَوَّرَ عجائبُ خلاصِ المسيح وكذلك آلامه وأعمال القديسين الشُجاعةُ ضِدَّ **إبليسَ**، ولا أنْ تُعرَضَ للتَأَمُّلِ أو الإحتفالِ أو الإعجابِ أو الحَمِيَّةِ. ولكن أيُّ إنسانٍ وُهِبَ معرِفَةً إلهيَّةً وفهمًا روحِيًّا لا يُسلِّم هنا أنَّ ذلك إنَّما هو بالضبطِ اقتراحٌ من **إبليسَ**؟ فهذا {الأخير} يرفُضُ بالتأكيدِ أنْ يَتَّضِح فَشَلُهُ وَخِزْيُهُ للجميعِ وأنْ يُصَوَّرَ مجدُ اللهِ والقدِّيسين.

١– (المقصود هنا هو الإمبراطور لاون الثالث الإيصوري (٧١٦–٧٤٠) وابنه قسطنطين الخامس الذي شاركه في السلطة من سنة ٧٢٠ ؛ ففي سنة ٧٣٠، أصدَرَ لاون الثالث مرسومًا يفرض تحطيم الإيقونات وعَزَلَ جرمانوس بطريرك القسطنطينيَّة الذي لم يُؤيده. وهنا تدَخَّلَ القدِّيس يوحنَّا الدمشقي بخطابه الأوَّل الذي يتصدَّى للسياسة الإمبراطوريَّة).

٢– (تُفَسِّر هذه الجملة المفهوم المسيحيَّ للسلطة السياسيَّة وتعترض مُباشرةً على مبدأ الحُكم المُطلَق الذي كان يَدَّعيه بعض الأباطرة البيزنطيِّين نظير لاون الثالث. وقد كان القدِّيس يوحنَّا الدمشقي حُرًّا في إبداءِ رأيه ها هُنا لا سِيَّما وأنَّ فلسطين خاضعةٌ آنذاك للسيطرة الإسلاميَّة.)

٣– (تلك كانت التهمة الموَجَّهة إلى المؤمنين من مُحَطِّمي الإيقونات. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ بعض الممارسات التقويَّة الشعبيَّة تحمل فعلًا على إثبات هذه التهمة مع الأسف.)

٤– (ترتكز بَرهَنة القدِّيس يوحنَّا الدمشقيّ أساسًا على تقليد تكريم الأيقونات العريق منذ نشأة الكنيسة، ومختاراته التي سنراها لاحقًا تُظهر ذلك بِأَجلَى بيان.)

٥– (الأساقفة، ولا سيِّمَا جرمانوس بطريرك القسطنطينيَّة ويوحنَّا بطريرك أورشليم.)

٦– (هذا الراعي الصالح هو يوحنَّا الخامس بطريرك أورشليم، الذي به كان يتعلَّق ديرُ القدِّيس سابا حيثُ عاشَ قِدِّيسنا يوحنَّا الدمشقيّ.)

٧– (أي الحقّ الذي ظهَرَ لنا في أُقنومِ المسيح.)

٨– (هذه هرطقة غنوصيَّة أو مانَويَّة (ظَهَرَ المانويّون في القرن الثالث وأخذوا عن الغنوصيِّين مذهب الثنويَّة أو الثُنائيَّة، أي القول: بإله صالح وإله شرِّير. وهنا يبدأ قدِّيسنا بِعَرْضِ قائمةٍ من الهَرطقاتِ في اتجاهين مُتَضادَّين، وذلك لِيُبَرهِنَ بالتالي أنَّ الحقيقة تسلك في الوسط مُتَجَنِّبَةً كُلَّ طَرَفٍ.)

٩– (هي هرطقة «الشكلانيَّة» التي برزت في القرن الثالث، والتي تقول: بأنَّ الآب وحدَهُ إلهٌ وأنَّ الابن والرُّوح مَظهرانِ أو شكلان له ليسَ إلَّا.)

١٠– (هي الهرطقة القائلة بثلاثةِ آلهة، والتي ظهرت في القرن السادس.)

١١– (هي المونوفيزيَّة التي أطلقها إفتيخيس في القرن الخامس كَرَدَّةِ فعلٍ على النسطوريَّة. وهي ترى بأنَّ في المسيحِ طبيعةً واحدةً إلهيَّة امتَصَّت في ذاتها الطبيعة الإنسانيَّة.)

١٢– (هذه هي النسطوريَّة. فقد رأى نَسطوريوس بطريرك القسطنطينيَّة بأنَّ في المسيحِ مجرَّد تجميع للطبيعتين الإنسانيَّة والإلهيَّة، ممَّا أدَّى ببعض مُشايعيهِ إلى القول: بشخصين في المسيح. و قد أدان مجمعُ خلقيدونية الملتئم سنة ٤٥١ بِدْعَتَي المونوفيزيَّة والنسطوريَّة المعاكستين إحداهما للأُخرى.)

١٣– **(هذا هو إيماننا الذي حَدَّده مجمعا نيقية سنة ٣٢٥ والقسطنطينيَّة سنة ٣٨١ المَسكونيَّين.)**

١٤– (لقد نَوَّهَ معظمُ الآباء (ومنهم القدِّيس غريغوريوس النيصيّ – القرن الرابع) إلى عدَم الوجود الجوهريّ للشَّرِّ، وذلك ضِدَّ المانَويِّين القائلين بعكس ذلك.) .

١٥– **(هذا هو الإيمان الذي أُعلِنَ في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١.)** .

١٦– (لا تَنسَ أنَّ الشيطان يُؤَيِّد هجوماتِهِ بآياتٍ كتابيَّة) (متى ٤:١–١١) ■

المحبّة وممارسة الفضائل:

ولنَا أنْ نتحدَّث عن الكثير من الجوانبِ في هذا الموضوع، ولكن يكفي هذا لأصحابِ العقولِ والمنطقِ، حتَّى نتجنَّب فعل الشرِّ، ولنختار طريق الفضيلة، لكي يَثبُت من خلال ممارستنا، أنَّنا نملك فكرًا حُرًّا، وإرادة تُجاه كُلِّ ما يُقدَّم لنَا، حتى لا نخجَل من أنفسِنا في اليومِ الذي سَتُكشَف فيه أعمالنا: «لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.» (٢ كور ٥: ١٠). أَتَرجاكُم لِنَضَع في اعتبارنا **ذلك القَضاء المخوف**، ولنتخيَّل أنَّ **الديان العادل** يجلس أمامنا الآن، وأنَّ كُلَّ شيء عُريان ومكشوف أمامه، لأنَّهُ ليسَ فقط، أنَّنا سنُعرَض حتمًا على هٰذا القضاء، بل أيضًا سَتُكشَف كلُّ أمورنا. إذًا ألَا تخجلون؟ ألَا تَقشَعِرُّون؟ ألَا تُفضِّلون أنْ نحزنَ ونتألَّم آلاف المرَّات، على أنْ تَظهَرَ ذنوبنا الخَفِيَّة أمام أحبائنا؟ كيفَ سنتصرَّف ماذا سنفعل وقتئذٍ، عندما ستُكشَف خطايانا أمام كُلِّ الملائكة، وكُلِّ البَشر، وستُطرح أمامَ أعيُنِنَا؟ لأنَّ المرنم يقول: «أُوَبِّخُكَ وَأُقِيمُ خَطَايَاكَ أَمَامَ وَجْهِكَ» (مز ٤٩: ٢١). وإنْ كانت هذه الحقيقة غير ماثلة الآن بَعْدُ، لكنَّنَا نفترض إنَّها ماثلة، ونَصِفُها بالكلام، وأنَّها تُكبِّل ضميرنا وَتُقَيِّدُهُ، فماذا ستفعل عندما يأتي **وقتُ الدينونة**، عندما ستكون كلُّ المسكونة حاضرة، عندما يكون **كُلُّ الملائكة، ورؤساء الملائكة، والرئاسات، والقوَّات**، وأصوات الأبواق التي لا تنقطع تتردَّد معًا، والأبرار يُختَطَفون على السحاب، وبُكاء ونُواح الذين أخطأوا، كثيرٌ؟ أيُّ خوفٍ ذلك الذي سيملك على الذين ظَلُّوا على الأرض؟ لأنَّ الكتاب يقول: «حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ.» (متى ٢٤: ٤٠). كيفَ ستكون الحالة النفسيَّة التي لأولئك عندما يرون أنَّ هناك مَنْ سَيُؤخَذ بعيدًا بكرامةٍ كبيرةٍ؟ صدقوني، أنَّهُ من غيرِ الممكن أنْ أعرِضَ للألمِ الذي سيكون، **بالكلام**. هل رأيتم أُناسًا يأخذونهم لكي يُقدموهم للموتِ؟ كيف تتصوَّرون حالتهم النفسيَّة، عندما يسيرون في الطريق المؤدي للنَّارِ؟ ألَا يكون لديهم الاستعداد لِتَحَمُّل أنواع الآلام غير المقبولة لديهم، حتى يتخلَّصوا من تلك **الظُلمة**؟ لقد سمعتُ كثيرين مِنْ هؤلاءِ، أنَّهُ بسببِ محبَّة الملك للبشر، بعدما أخذوهم، أرجعوهم ثانيةً، فوَصفوا حالتهم، وقالوا إنَّهم لم يكونوا يَرَوْنَ البشر كبَشَر، بل إنَّ نفوسهم كانت مضطربة وهائجة. ولماذا أَذكُر أو أُشير إلى أولئك الذين اقتيدوا إلى الموتِ؟ وإنْ فَحَصَ أحدٌ، نفسَ كُلِّ واحدٍ منهم على حِدةٍ بالتَّدقيقِ، فليس هناك مَنْ هو قاسٍ، ومتوحِّش إلى هذا الحدِّ، حتى يُنكر أنَّ نفسَ هؤلاء ليست منزعجة أو لَمْ يُصِبْهَا القلقُ والتَّوتر بسببِ الخوفِ، والحزنِ المُفرِطِ. وبينما الآخرون يُقتَادون إلى الموتِ. نَجِدُ أنَّ الذين كانوا معهم، لا يشعرون بأيِّ شيء، ولا يُحرِّك الموت فيهم شيئًا، هكذا نحنُ أيضًا عندما نسلك في **الشرورِ**، كيف ستكون حالتنا يا تُرى، ونحنُ مطرودون مِنْ تلك المسرَّة التي لا يُعَبَّر عنها، ومحكومٌ علينا **بالعقابِ الأبديّ**؟ لأنَّه حتى وإنْ لم يَكُن هناك جَهنَّم، فكوننا نُلقَى بعيدًا عن هذا البهاءِ، وهذا المجدِ، وأنْ نبقَى بلا كرامة، أَفَلَا يُعَدُّ هذا عِقابًا لا حدودَ له؟ فإنْ كانَ الآن عندما يُقدِم أيُّ ملكٍ إلى مكان ما، يتبعه كثيرون، مُفكِّرين فقط في عوزهم واحتياجاتهم. فهم لا يشعرون من هذا المشهدِ المُبهجِ للغايةِ إلَّا بالضِّيقِ، ويتألَّمون مِنْ حيثُ أنَّهم لا ينتسِبُون للمُقَرَّبين من المَلِكِ، تُرى ماذا سيحدث عند **الدينونة العديدة**؟ وقد تتصوَّرون أنَّ العقابَ الأقلَ يتمثَّل في أَلَّا **تُصَنَّفوا** ضمن هؤلاء المقرَّبين للملكِ، وأَلَّا تكونوا مستحقِّين لهذا المجد الذي لا يُعَبَّر عنه، وأنْ يُلقَى بكم في مكانٍ ما، بعيدًا عن ذلك المحفل الاحتفالي، وتلك الخيرات التي لا توصف؛ ولكن عندما تُوجَد **ظلمة وصرير أسنان، وقيود لا تنفك، ونار لا تُطفىء، وضيقات وأحزان، وألسنة مُشقَّقة**، كما تلك التي للغنيِّ، ألَا ينبغي أنْ نبكي بمرارةٍ، دون أنْ يسمعنا أحدٌ، وأنْ نتنَهَّد، ونحتمل الألم، ولا ينتبه إلينا أحد، وأنْ ننظُرَ إلى جميع الاتجاهاتِ، ولا يوجد أحدٌ على الإطلاقِ لكي يُعزِّينا، كيف نَصِفُ كُلَّ مَن يُوجد في هذه الحالة؟ وهل هناك ما هو أكثر بُؤسًا وتعاسة وشقاء من تلك النفوسِ؟.

المحبّة والسلوك الحسن:

وإنْ فَكَّرنا في السِّجنِ ومَنْ في داخلِهِ، سترى أنَّ البعضَ قد أصابه الإعياءُ التَّام فأصبحَ هيكلًا عَظْمِيًّا، والبعضَ مُقَيَّدًا بسلالَ حديديَّة، والبعضَ الآخرَ محبوسًا في زنزانة مُظلمة. إنَّ هٰذه المشاهد تَحبِسُ الأنفاس، وتُشْعِرْنَا بالخوفِ الرَّهيب، وتَخلِق لدينا ٱستعدادًا لفعلِ كُلِّ شيءٍ، حتى لا نَقَع في مثلِ هذه الحالة مِنَ الألمِ والضِّيقةِ. إذًا عندما نُساقُ مُقَيَّدين إلى موضعِ العذابِ في جَهنَّم، فكيف سيكون حالنا؟ ماذا سنفعل؟ لأنَّ هذه القيود ليست من حديد، بل من نار، ولَنْ تُطْفَأَ أبدًا، والحُرَّاس ليسوا بشرًا مثلنا، ولا يمكننا ذات مرَّة أنْ نجعل قلوبهم تلين، بل هم ملائكة لا يرحمون، ولا يمكن النَظر إليهم، إنَّهم غاضبون بلا حدود، بسبب ما ارتكبنا مِنْ شُرورٍ تُسيءُ **للرَّبِّ**. ومِنْ غير الممكن أنْ نرى البعض – كما يحدث هنا على الأرض – وهم يحملون مالًا، أو أطعمة، أو نرى آخرين وهم يتكلَّمون بكلماتٍ التعزية، التي نَجِدُ فيها راحةً، وعونًا، ومُساندَةً، فمثل هذه الأشياء مستحيلةٌ هناك. **وحتى نوح، أو أيوب أو دانيال**، فلا يمكنهم أنْ يقفوا إلى جانب أقاربهم وهم يُعاقَبُون، أو يمدُّوا لهم يَدَ العونِ والمساعدة، لأنَّهُ لَنْ يكون هناكَ مكانٌ للرَّأْفَةِ والشَّفَقَةِ التي تُمليها علينا طبيعتنا. خاصةً وأنَّ هناك سيلتقي معًا أبناءٌ قدِّيسون، لآباءٍ خَطأَةٍ، وأبناءٌ صالحون، لوالدين أشرارٍ، لأنَّ الشرور غير مرتبطة بالطبيعة، بل تعتمد على الرَّغبة النفسيَّة، حتى يكون الفرح غير المحدود في هؤلاء غير متأثِّر بشيء، وألَّا يذوبوا ألَمًا بسبب ما تفرضه عليهم الشَّفَقَةُ والرَّأْفَةُ، وحتى يمكنهم أنْ يتمتَّعوا بخيراتِ الدهر الآتي؛ وقد يحدث أنْ يُعاتب هؤلاء **الرَّبّ**، بسبب ما سيحدث لأحبائهم مِنَ الأقاربِ، وإنْ كانَ البعض الآن، عندما يرون أبناءهم يسلكون بلا ضابط أخلاقي، ينفرون منهم، ويَقطعونهم مِنَ العائلة، فبالأكثرِ جدًّا سيحدث هذا في **وقت الدينونة الأخيرة**. إذًا ينبغي ألَّا ينتظر أحدٌ، شيئًا صالحًا، إنْ لم يَكُن قد عاشَ بالفضيلة وسَلَكَ حَسَنًا، حتى وإنْ كانَ لهُ **آلاف الأسلاف من القديسين**. «لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.» (٢ كو٥:١٠). أَرْجُو أنْ نَسمَعَ هذا، وَنَتَعَقَّل. إنْ كان لديك أيُّها الخاطىء رغبةٌ مُشتعلة. فَكِّر في تلك العقوبة التي تنتظرك، فهذه النَّار التي في هذه الحياة، تذهب، وتنطفىء تمامًا. إنْ أردتَ أنْ تتكلَّم، كلامًا غير لائق، فَكِّر في **صرير الأسنان**، وسيكون الخوف من العِقابِ لِجامًا لكَ. وإنْ أردتَ أنْ تَخطِف وتَسلِب، إسمع **الدَّيان** الذي يقول لكَ: «اِرْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ.» (متى ٢٢:١٣)، وستُنزَع هذه الرَّغبة من جذورِها. إنْ كنتَ متوَحِشًا، وبلا قلب، تذَكَّر العذارى الجاهلات اللآتي كانت مصابيحَهُنَّ مُنطفئَةٌ، إذْ لم يكن فيها زيتٌ، وبقينَ خارجَ غُرفَةِ العُرسِ، وحينئذ ستُصبح مُحِبًا للنَّاسِ على الفورِ. فإنْ مِلْتَ إلى المُتَعِ والسُّكر، إسمع الغنيّ الذي يقول: « وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ.» (لوقا ١٦:٢٤)، وعندما لا يتحَقَّق لكَ هذا المَطلَب، ستبتعد عن الشَّهوة سريعًا، وستتمكَّن بهذه الطريقة أنْ تُحَقِّق نجاحًا متواصلًا.

لأنَّ **الله** لم يَأمر بشيءٍ لا يمكن حمله. إذًا ما الذي يجعل الوصايا تبدو ثقيلة الى هذا الحدِّ؟ إنَّ ذلك يرجع إلى عدم مبالاتنا. فكما أنَّهُ لو كان لدينا اهتمامٌ نَشِيطٌ نحو تنفيذ الوصايا، فإنَّ ما قَدْ يبدُو ثقيلًا، سيُصبح خفيفًا وَسَهلًا، أمَّا إذا سادَ علينا التَكاسل، فإنَّها حتى وإنْ كانت بعدُ سهلة الحَمل، ستبدو لنا أنَّها صعبة. إذًا عندما نُفَكِّر في هذه الأمور، فينبغي ألَّا نُطَوِّب أولئك الذين يقضُون حياتهم في رَغَدِ العيش والتَّرف، بل لِنَنظُر إلى نهايتهم، ونضع هذا في **ٱعتبارنا**. في هذه الحياة توجد نفايات، وأجسام ممتلئة، وديدان وحشرات، ونار لا تُطْفَأُ، هنا في الحياةِ الحاضرة ٱهتمامات كثيرة، ومشقات، أمَّا هناك ما في الدهر الآتي **فتوجد قيود لا تنفَك، وظلام دامس**، هنا ٱستعباد، ولهث، بينما هناك **خسارة فادحة، ممتلئة في لهيب نارٍ مستمرة**. إذا أدركنا ذلك، فإنَّهُ من خلال هذه الأمور، والأمور المشابِهة لها، سَنتَصدَّى بصفَةٍ دائمة لِرغباتنا وشهواتنا الشرِّيرة، وسنتَجنَّب الخطيَّة على الفورِ، وسنُمارس الفضيلة، وسَتُمحَى أمور الدُنيا الزَّائلة من قلوبنا، ونهتم فقط بأمور الدهر الآتي. لأنَّهُ **ما هو** الحقيقيّ المؤَكَّد في هذه الأمور الدنيويَّة، وما هو الأمر غير العادي والرَّائع في هذه الأمور، حتى نهتم بها كُلَّ **هٰذا الاهتمام**؟ ألَا نرى أنَّ نفسَ الشيء يتكرَّر، ويعود مرَّة أُخرى إلى ما كانَ عليه، مثل النهار والليل، الليل والنهار، والشتاء والصيف، الصيف والشتاء، ولا أكثر من ذلك؟ إذًا فَلنُشعِل الشوق تُجاه خيرات الدَّهرِ الآتي، لأنَّ هناك مجدًا عظيمًا ينتظر أولئك الذين عاشوا بالفضيلة، الذين لم يَشْهَدُوا بالكلامِ فقط، خاصةً وأنَّ أجسادهم بعد القيامة ستلبس عدم الفَساد، وستَتَمَجَّد، وسيملكون مع **المسيح**.

عن الأنبا أرسانيوس – مُعَلِّمُ أَولادِ الملوكِ

وُلِدَ **القِّديس أرسانيوس الكبير** في مدينة روما، من أبوَيْنِ تَقيَّين وغنيَّين، وكان شماسًا فيها، عاش في زمن **الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير** (٣٧٩ – ٣٩٥ م). وتميَّز بحكمَتِهِ وأخلاقه الحميدة وفضائله المتنوعَّة. لقد قضى حياته بالصلاة والحياة التعبديَّة والدراسة وحفظ الوصايا الإلهيَّة، كما وُهِبَ نعمة «المعرفة المجهولة». أي المعرفة التي لا يمكن للعقل البشريّ أنْ يفهمها، بل يعلنها **الله** للقلب المُنقَّى. بمعنى آخر، انغمس في أسرار ملكوت **الله** من خلال دراسته وأسلوب حياته، وبرز كمُعَلِّمٍ حكيم وَمُرَبٍّ ممتاز. ولهذا السبب، وبناءً على اقتراح **الملك جراتيانو والبابا إينوكينديو، عيَّنه الإمبراطور ثيودوسيوس كمدرس لإبنيهِ أركاديوس وأونوريوس**. (لذا دُعِيَ مُعَلِّم أولاد الملوك).

قيلَ عن القديس أرسانيوس الكبير، إنَّهُ طِوال حياتِهِ، جعَلَ مِنديلًا على صَدرِهِ لدى جلوسِهِ للعَمَلِ، بسبب الدموعِ المنهمرةِ من عينيه، ولمَّا عَلِمَ الأنبا بيمن بِوَفَاتِهِ قال وهو يبكي: «الطوبَى لكَ يا أنبا أرسانيوس لأنَّكَ بَكيتَ على نَفسِكَ في هذا العالم. فَمَنْ لا يبكي على نفسِهِ في هذه الدُنيا، سوفَ يَبكي في الآخرة للأبدِ. لذلك لا بُدَّ من البُكاءِ، سواءً هنا طَوعًا، أو هناكَ تحت وطأةِ الألم.

المقدّمة:

«بَوِّقوا في رؤوسِ الشهور بالبوقِ، في عيدكم المعلوم» (مز ٨٠:٤). هذا أمرٌ نبويٌّ. أمَّا بالنسبة لنا، فإنَّ مقاطع إشعياء التالية تُنبئ بِعيدِ الأيام المقبلة بصوت يفوق كُلَّ بوق من حيث قُوَّتُهُ وكُلُّ آلةٍ موسيقيَّة من حيث خاصيَّتها. هذه الأقوال تدع جانبًا **الصوم اليهودي** وتُظهر لنا **الصوم الحقيقي على طريقته القويمة**: «عندما تصومون انظروا ألَّا تكونوا في خصومة أو مشاجرة مع الناس الآخرين، بل اجعلوا حدًّا لكل ظُلْمٍ طارئ» (إش ٥٨:٤-٦). أمَّا **الرَّبُّ يسوع** فيقول:«وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ،» (متى ٦:١٦-١٧). لأنَّهُ لا يُكَلَّلُ أحدٌ، ولا يحوز على راية الظَّفر إنْ كان وجهه عابسًا أو قاتمًا.

لا تكونوا عابسين وأنتم تستعيدون صحتكم. فإنَّهُ لا بُدَّ لنا أنْ نَتَهَلَّل لصحةِ نفوسنا، ولا مجال للحُزن بسبب تَبَدُّلِ الطَّعامِ وكأنَّنا نُؤْثِرُ مَلذَّات البطن على منفعة نفوسنا، لأنَّ الشَّبع يقف إحسانه عند حدود البطن، أمَّا الربح الناتج عن الصوم فهو يَنفُذُ إلى النَّفسِ. كُنْ فَرِحًا لأنَّكَ أُعْطِيتَ مِنْ قِبَلِ طبيبك دواءً ينزع الخطايا. لا تُبَدِّل وجهك كما **يفعل المراؤون**. إنَّ الوَجْهَ يتبدَّل عندما يُظْلِمُ الداخل مع التظاهر الخارجي، وكأنَّهُ مخفيّ وراءَ **ستار كاذب**.

المرائي هو الذي يكون له على المسرح وجهٌ آخر. يرتَدِي قناع السَّيِّد وهو في الحقيقة **عَبْدٌ**. يلبس قناع الملك وهو بالحقيقة من عامة الناس. هكذا أيضًا في الحياةِ الحاضرة، كثيرون يتظاهرون وكأنهم على المسرح. يكونون على كُلِّ شيءٍ في عمقِ القلبِ، ويتظاهرون بوجهٍ آخرَ أمامَ الناسِ. أمَّا أنت فلا تُبَدِّل وجهك. كما أنت هكذا أظهر للآخرين. لا تُبَدِّل مظهرك عابسًا، ساعيًا وراء الشُّهرة عن طريق التظاهر بالصَّوم والإمساك، لأنَّهُ لا نَفْعٌ للإحسانِ الذي يُطَبَّل له، ولا ثمرٌ للصوم الذي يُشَهَّر أمام الناس، أي كُلُّ ما يقوم به الإنسان بُغية التظاهر أمام الآخرين لا ينفذ إلى الدهر ولا يتخطى حدَّه مدح الناس. أَسْرِعْ بِفَرَحٍ إلى هباتِ الصَّوم. إنَّهُ هِبَةٌ قديمة العهد لا تَعْتَقُ ولا تشيخُ، بَلْ تَتَجَدَّدُ وتُزهِرُ على الدَّوام.

تاريخ الصوم:

ربما تظن أنَّني سأُعيد قِدَم الصَّوم إلى **مرحلة الناموس الموسوي**. الصَّوم هو أقدم من **ناموس موسى**. ومع قليلٍ من الصَّبْرِ ستقتنع مِنْ كلامي هذا. لا يخطُر ببالِكَ الظَّنُّ بأنَّ بداية الصَّوم تعود إلى يوم الكفَّارة الذي حُدِّدَ لإسرائيل في العاشر من الشهر السابع (لاويين ٢٣:٢٧). هَلُمَّ تَقدَّم أكثر في التاريخ وابحث عن قِدَمِهِ. فإنَّ نظام الصَّوم لم يُبتكر في الأزمنة الحديثة. إنَّ هذه الجوهرة هي من ميراث آبائنا. كُلُّ شيءٍ يتميَّز بِقِدَمِهِ جديرٌ بالاحترامِ والإجلالِ، فاحترم إذًا وجهه الشَّاحب. الصَّوم هو من عمر الإنسانيَّة نفسها. لقد شُرِّعَ له في الفردوس. إنَّ **آدم** هو الذي تَقَبَّل الوصيَّة الأوَّل للصَّوم: « وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا» (تكوين ٢:١٧). العبارة: «فَلاَ تَأْكُلْ» ما هي إلَّا شريعة **صَوْمٍ** وإمساك.

لو أنَّ حواءَ لم تأكُلْ من ثمرِ العودِ، لَمَا كُنَّا بحاجةٍ إلى الصَّومِ الحاضر. «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى.» (متى ٩:١٢). لقد ترتَّب علينا كثير مِنَ الشُّرور بسبب خطايانا، فلنعالجها إذًا عن طريق التوبة. لكن التوبة بدون صوم لا تأتي بثمر. « مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ ... وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ» (تك٣:١٧-١٨). لقد تسلَّمتَ وصيَّة التعرُّف ضمن حدود، ولم تُعْطَ أنْ تَسْتَسْلِمَ لملذَّاتِ الجسدِ. حسابك **لله** يكون عن طريق الصَّوم. إنَّ العيشَ في الفردوسِ يعكس صورة الصَّوم. لا لأنَّ الإنسان كان يتشبَّه بالملائكةِ عن طريق القناعة، بل أيضًا لأنَّهُ لم يكن ليعرف في الفردوس كل ما ابتكره الناس بعد ذلك من شُرْبِ خمرٍ، وذبائح حيوانيَّة، وكُلِّ ما يُعكِّر صَفْوَ ذهن الإنسان.

لقد طُرِدْنَا منَ الفردوسِ لأنَّنَا لَمْ نَصُمْ. فَلْنَصُم إذًا حتى نعود إليه. ألم تَرَ كيف أنَّ الفقيرَ لعازَرَ دخل الفردوس عن طريق الصَّوم (لوقا١٦)؟ لا تَتَشَبَّه بمعصِيَةِ حواءَ، وَتَتْبَع مشورة الحيَّة. لا تَتَحَجَّج بالمرض الجسديّ. إنَّ هذا التَعَلُّل لا يتوجَّه إليَّ، بل إلى ذلك الذي يعرف حقائق الأمور بالضَّبطِ. تقول لي: لا أستطيع أنْ أَصومَ، لكنك تقدر على إشباع البطن طيلة عمرك، وعلى إجهاد جسدك بِثِقَلِ المآكل التي تتناولها. إنَّني اعْلَم مِنْ جهتي أنَّ الأطباءَ يَصِفُونَ الصَّوم دواءً للمرضى، **لا كثرة المآكل**. كيف تقدر مِنْ جِهَةٍ على إشباعِ البَطْنِ، وَتَدَّعِي مِنْ

جِهَةٍ أُخرى أنَّكَ لا تقدر على الصَّوم؟ ما هو الأسهل بالنسبةِ للبَطْنِ؟ أنْ تمضي الليل هادئًا، مع قليلٍ مِنَ الطعام، أمْ أنْ تستلقي على الفراش **مُثْقَلاً بكثرةِ المآكلِ؟** أو قُلْ بالأحرى أنْ تتقلَّب مُتنهِّدًا ومواجهًا خطر القيء من كثرة الأطعمة؟ أو أنَّكَ تريد أنْ تُقنعني أنَّهُ أسهل على البَحَّارَة أنْ يُنقِذُوا منَ الغرقِ مركبًا مُثْقَلًا بالحمولةِ مِنْ أنْ ينتشِلُوا مَركبًا قليل الحمولة وخفيفًا. هذا لأنَّ المركب الثقيل ما أنْ ترفعُهُ الأمواجُ قليلًا حتى يشرف على الغرقِ، بينما يَسْهُل على المركب الخفيف أنْ يتجاوز العاصفة لأنَّهُ لا يَصْعُب عليه أنْ يرتفع فوق الأمواج، وأنَّ الأجسادَ التي تُثَقَّل بالأطعمةِ بصورةٍ متواصلةٍ مُعَرَّضَةٌ أكثر للأمراضِ، إلَّا أنَّنا عندما نتناول طعامًا خفيفًا متوازنًا، نتجنَّب شَرَّ المرضِ كما يتجنَّب المركب الخفيف العاصفة وَينجُو... إلَّا إذا اعتبرتَ، حسب رأيك، أنَّ الاستراحة أضمن مِنَ الركضِ، والهدوء أشدُّ من العراك. فإذا صحَّ قولك هذا يكون أفضل للمرضى أنْ ينتفخُوا بالمآكلِ بدل أنْ يكتفوا بالطعام الخفيف. طعامٌ خفيفٌ يسدُّ حاجة كُلِّ حَيٍّ للغذاءِ، أفضل مِنْ مَأْكَلٍ كثير يُثَقِّلُهُ، لأنَّه مع كثرة الأطعمة تتعكَّر عمليَّة التغذية بدخول أمراض متنوعة.

ولكن لنتقدَّم في تاريخِ الصَّوم وَنَتَقَصَّ قِدَمَ تَشْرِيعِهِ. كيف تَقَبَّلَهُ القِدِّيسون جميعًا كميراث آبائي، ومارسُوهُ بِدقَّةٍ مُسلِّمين إياه مِنْ أَبٍ إلى ابنه، إلى أنْ وَصَلَ إلينا بالتَّسَلْسُلِ. لمْ يُعرَفْ الخمر في الفردوس (كما ذكرنا)، ولا الذبائح الحيوانيَّة، ولا أكل اللحوم. لقد عُرِفَ اللحم والخمر بعد الطوفان لأنَّهُ أُوصِيَ عند ذلك: «كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ.» (تك ٩:٣). عندما يَئِسَ البَشَر مِنْ بلوغِ الكمال الرُّوحِي، حينئذٍ سمحوا لأنفسهم بالتَمتُّعِ بِكُلِّ شيءٍ. والبرهان على أنَّ البشرَ لم يعرفوا الخمر هو **نوح**، كان يجهل استعمال الخمر: لَمْ يَرَ أحدًا يستخدمُهُ وهو لَمْ يَذُقْهُ هو شخصيًّا، لذلك حدث له ما حدث من أذى من جراء عدم احتياطه. «وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ» (تك ٩:٢٠-٢١)، لا لأنَّهُ كان سكيرًا، بل لِعَدَمِ خبرتِهِ في شُرْبِ الخمر باعتدال. إنَّ شُربَ الخمرِ بَعيدٌ عن مرحلة الفردوس بقدرِ ما يبتعد الصُّوم الشريف في قِدَمِ زَمَنِهِ.

ونعلم أيضًا أنَّ **موسى** لَمْ يجرؤْ على الاقترابِ من جبلِ سيناء، والصعودِ إليه إلَّا بعد صَوْمٍ طويل. لم تكن له الجرأة على الصعودِ إلى الجبلِ المُدَخَّن، ولا الشجاعة على الدخول في وسط الغمامِ الذي غطَّاه (خر ٢٤:١٨) لو لَمْ يتسلَّح بالصَّوم. عن طريق الصَّوم تسلَّم الوصايا العشر التي دُفعت إليه على لوحين من حجر مكتوبين بإصبعِ **الله** (خر ٣٤:٢٨)، بينما في أسفلِ الجبلِ، دَفَعَتِ الشَّراهة الشَّعب إلى عبادةِ الأوثان، لأنَّهُ جلسَ يأكُلُ ويشربُ، ثُمَّ قاموا كلُّهم يلعبون. البقاءُ على الجبلِ أربعين يومًا وابتهال عبد الله المؤمن، كُلُّ ذلك لَمْ يُجْدِ نَفْعًا مقابل يوم واحد **مِنَ السُّكر والعربدة**. وبعبارةٍ أخرى، إنَّ لَوْحَي الوصايا التي أتت عن طريق الصَّوم مكتوبة بإصبع الله **حطَّمها السُّكر**، لأنَّ **النبي موسى** حَكَمَ أنَّ الشَّعبَ المُسْتَسْلِمَ للسُّكرِ لم يكن يستحِقُّ تَسَلُّمَ الوصايا **الإلهيَّة** (خر ٣٢:١٩). بالنسبة للشَّعبِ الذي عَرَفَ **الله** الحقيقيّ والصانع له العجائب، **لحظة واحدة كانت كافية ليعود ويغرق في وثنيَّة المصريِّين**. فاجعلوا أمامكم إذًا الأمرَيْنِ وقارنوا بينهما: أُنظروا أنَّ الصَّوم من جهةٍ يُقرِّب الإنسان إلى **الله**، بينما التَمتُّع من جهةٍ أخرى **يَقْضِي** على خلاص نفسه.

لكن لنُتابع طريقنا ونتقدَّم في التاريخِ. مَنِ الذي أضعف موقف **عيسو وجعله عبدًا لأخيه؟** أليسَ هو طعامٌ تناوله وباعَ من أجلهِ بكوريَّته لأخيهِ (تك ٢٥:٣١-٣٤)؟ في المقابلِ، يُهْدَى **صموئيل** لأُمِّهِ عن **طريق الصَّلاة والصَّوم** (١ملوك١:٧-١١)؟ ما الذي جعل **شمشون الكبير** لا يُقْهَرْ، أليسَ هو الصَّوم الذي ساهم في الحبلِ به؟ لأنَّ **الملاك** أوصى به لأُمِّه قائلًا لها: «هَا أَنْتِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا. وَالآنَ فَلاَ تَشْرَبِي خَمْرًا وَلاَ مُسْكِرًا، وَلاَ تَأْكُلِي شَيْئًا نَجِسًا، لأَنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيرًا للهِ مِنَ الْبَطْنِ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ» (قضاة ١٣:٧).

الصَّومُ يُوَلِّدُ أنبياء، يجعل المشرِّعين حُكماء. هو كنزٌ صالحٌ للنفسِ، وسُكناه فيها ضمانة. هو سِلاحُ المجاهدين ورياضة المتبارين. هو الذي يُبْعِدُ التجاربَ ويحثُّ على التَّقْوَى. يُواكِبُهُ انتباهٌ روحيّ متواصل. الصَّوم يُوَلِّدُ العِفَّة. في الحروب يصنع الرجال، وفي السلم يعلِّم الهدوء. يُقدِّس المكرَّس **لله**، يجعل الكاهن يتقدَّم أكثر في طريقِ الكمال، لأنَّهُ لا يمكن للكاهنِ بدون صَوْمٍ أنْ يخدمَ العبادة الإلهيَّة الحاضرة والسِرِّيَّة فحسبْ، بل حتى العبادة الناموسيَّة التي لموسى أيضًا.

الصَّوم هو الذي أَهَّلَ **إيليا** لتلك الرُّؤية العظيمة، لأنَّهُ بعد أنْ طَهَّرَ نفسه بالصَّوم مُدَّةَ أربعين يومًا، أُهِّل لِرُؤْيَةِ **الرَّبِّ** في مغارة حوريب بقدرِ ما يُستطاعُ للناسِ أنْ يُعَايِنُوا مجد **الله** (٣ملوك ١٩:٨-١٥). وَقَدْ أقام (إيليَّا) ابن الأرملة بعد صَوْمٍ (٣ملوك ١٧:٢٠-٢٣) مُتَغَلِّبًا هكذا على **قُوَّةِ الموتِ**. مِنْ فَمِهِ (فَمِ إيليَّا النبيّ)، وبعد صَوْمٍ طويل، خَرَجَ الصَّوت الذي **حبس** السَّماء مُعاقِبًا الشَّعب بسببِ معصيتِهِ، وكان ذلك لمدةِ ثلاثِ سنين وستَّة أشهر (٣ملوك ١٧:١)، لأنَّهُ إذْ أرادَ أنْ يُطَرِّي قلوب الشعب القاسية فَضَّل أنْ يحكُم على نفسِهِ معهم **بالشَّقاء**. لذلك قال: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي». وفرضَ الصَّوم عن طريق الجوع الذي حلَّ مع الجفاف من أجلِ تقويم الشَّعب الذي كان استسلم للملذَّات الجسديَّة، **واستفحل الضلال في عيشهِ**.

وأيضًا كيف كانت حياة **أليشع؟** بأيَّةِ طريقةٍ استضافته المرأة الشونميَّة؟ فكيف أطعم الأنبياء الذين استضافهم؟ ألم تقتصر ضيافته على بعض البقول البرِّيَّة وقليل من الطحينِ؟ لأنَّهُ عندما وُضِعَتِ البُقول خطأً في القِدْرِ، تعرَّض الآكلون للموتِ من جراءِ الأعشابِ السَّامة. فجاءت بركة النبي الصَّوَّام، وأبطلت فِعْلَ السُّمِّ (٢ملوك٤:٣٨-٤٤).

بكلمة واحدة، لدى فحص الأمور، تجدُ أنَّ الصَّومَ كان مُرشدًا لجميع القديسين في سلوكهم وفقًا لوصايا **الله**.

هناك جسم طبيعي هو الأميانط (*amiante*) لا يحترق في النارِ، ويبدو فيها وكأنَّهُ يصير فَحْمًا، لكن عندما يُنشل منها ويغسل بالماءِ يزداد لمعانًا. وهكذا استبان مع أجسام الفتية الثلاثة لأنها كانت نقيَّة. لقد وُجِدُوا في لهيبِ الأتونِ، وكأنَّ أجسادهم من ذهبٍ لا من لحمٍ وعظامٍ، وظهروا عند خروجهم أبهى مما كانوا عليه (دانيال٣). طبعًا

بَرْهَنُوا على أنَّهم أسمى منَ الذَّهَبِ لأنَّ النَّارَ لَمْ تُشَوِّه مظهرَهُم بل حفظتهم بلا عيبٍ. فمن كان يستطيع أنْ يحتمل مثل هذا اللهيب الذي كان يوقَد بالنِفطِ والزِّفتِ والزَرْجُون حتى ارتفع فوق الأتون تسعًا وأربعين ذراعًا وانتشر وأحرق الذين صادفهم حول الأتون من الكلدانيِّين؟ دخل الفتية الثلاثة الحريق بعد أن صاموا قَبْلًا فاستنشقوا اللهيب وكأنَّهُ نسيمٌ عليلٌ مُنَدَّى. لَمْ تجسُرِ النَّار على الاقترابِ من شعرِ رؤوسهِم لأنَّهم كانوا قد تَغَذَّوا بالصَّوم.

أمَّا دانيال رجل الرَّغَائِب الذي طيلة ثلاثة أسابيع لَمْ يأكلْ خبزًا ولا شَرِبَ خمرًا، **فقد عَلَّم الأُسود أيضًا أنْ تصومَ عندما أُلقي في الجُبِّ**. وكأنَّ جسمَهُ مصنوعٌ من حجرٍ أو مِنْ نحاسٍ أو من مادةٍ جامدة أخرى لَمْ تقوَ عليها **الأسود بأسنانها وأنيابها**. كمَا أنَّ السَّقْيَ **يجعل الفولاذ أشد وأمتن**، هكذا بطريقة مشابهة **تقوَّى جسمُ دانيال من جراءِ الصَّوم**. جعلَهُ لا يُقْهَرْ **أمام الأسود التي لم تجرؤ أمامه حتى على أن تفتح أفواهها**. (دانيال ٦).

فضائل الصوم:

«الصَّوم أخمد أجيج النار، الصَّوم سدَّ أفواه الأسود» (عب ١١:٣٣). الصَّوم يرفع الصَّلاة إلى السَّماءِ، وكأنه يعطيها أجنحة تُحَوِّلها الطيران إلى فوق. الصَّوم يُعمِّر البيوت، يُعنَى بالصِّحة كأُمٍّ. هو مُرَبٍّ للشباب وَمُزَيِّنٌ للمتقدمين في السِّنِّ. مُرافقٌ حسنٌ للمسافرين، وضمانَةٌ لكُلِّ مَنْ يساكنه. لا يَشُكُّ الرَّجل بامرأتِهِ عندما يراها تصوم، كما لا تَغارُ المرأة من رجلها عندما تراه يصوم بانتظام.

من الذي قضى على ثروته من جرَّاءِ الصَّوم؟... لا ينقص شيء منها عن طريقه. هو يريح الطبَّاخين قليلًا من العملِ. تقتصر المائدة على الطعام القليل. لقد أعطي السَّبت لليهود « لِكَيْ يَسْتَرِيحَ ثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ، وَيَتَنَفَّسَ ابْنُ أَمَتِكَ وَالْغَرِيبُ.» (خر٢٣:١٢). ليكن الصَّوم فرصة استراحة سنويَّة للخُدَّامِ من أتعابهم المتواصلة. يستريح الطبَّاخ قليلًا من عمله. يأخذ مدبر المواد مأذونيَّة. لا يعود يسكب خمرًا في كأسك، وتتوقَّف صناعة الحلويات المختلفة، من الدُخَانِ، من رائحةِ الشِّواءِ، من كُلِّ مَنْ يُسرع هنا وهنا كمن أجل خدمة البطن، وكأنَّهُ السَّيِّد الذي لا يكفيه شيء. كان من عادة جامعي الضرائب أنْ يُريحوا الملزمين قليلًا في وقت من الأوقات من دفع الضريبة. فَلْيُعْطَ بطنُكَ استراحةً ما للفَمِ، ويلجأ محبَّةً منَّا إلى السكينةِ. هو الذي لا ينفَكُّ يطالب بالمآكل وإنْ نسي اليوم، يُعطي غدًا ما كان قد تناوله البارحة. عندما يمتلئ يتكلَّم عن فلسفة الإمساك، وعندما يفرغ ينسى ما كان قد علَّمَهُ في وقتِ شَبَعِهِ.

الصَّوم لا يعرف ما هو الدَّيْن...ابن الصَّوَّام اليتيم لا تخنقه ديون والده ملتفةٌ حول عُنُقِهِ كالحيَّاتِ. ومن جهة ثانية الصَّوم مناسبة للابتهاج. كما أنَّ العطشَ يجعل الشرب مُسْتَحَبًا، كذلك الصَّوم المسبق يجعل المائدة مُسْتَحَبَّة، والطَّعام أَشْهَى، لأنَّكَ إنْ أردتَ أنْ تجعلَ مائدتَكَ لذيذَةً وشهيَّةً، اعْتَمِدِ الصَّوم الذي يخلق مثل هذا التَبدُّل. أمَّا أنتَ، الذي تتسلَّط عليك شَهْوَةُ التَمَتُّع بالأطْعِمَةِ، فإنَّكَ تفقد بهذه الطريقة ملذَّاتها، وتقضي على المتعة واللَّذة من جراءِ شهوتك وهو محبَّة اللَّذة. لا شيء يُشتَهى ويتمتَّع به المرءُ بصورةٍ متواصلةٍ، ولا يَزْدَرِي به في النهاية. كُلُّ شيءٍ نادرٍ مُستَحِقٌّ التمتُّع به. هكذا شاءَ الخالقُ عن طريق التبدُّل في العيشِ أنْ يديمَ التمتُّع بما وهبنا مِنْ نِعَمٍ. ألَا ترى الشَّمس مستحبَّة أكثر بعد انتهاء الليل؟ والاستيقاظ بعدَ النوم، والصحة بعد المرض، والمائدة أيضًا بعد الصَّوم، أكان ذلك للأغنياء الذين تفيض عندهم المآكل أم للفقراء القانعين بالطعام القليل؟

أذهب في مثال ذلك الغنيّ، لأنَّ التمتُّع بالمآكل طيلة حياته سلَّمه إلى نار جَهَنَّم (لوقا ١٦). لقد أُدِينَ لا لِظُلْمِهِ بل لأنَّهُ كان يعيش في التنعُّم الدَّائم.لذلك أخذَ يحترق في نار الأتون. والصَّوم يفيدنا، ليس فقط من أجل الحياة الأبديَّة، بل يفيد أيضًا، جسدنا البشريّ. إنَّ الرفاهِيَّةَ الزَّائدة تجرُّ سقطاتٍ لاحقة، لأنَّ الجسمَ يتعب ولا يستطيع أنْ يحملَ ثِقَلَ الأغذية الكثيرة. إحذر ألَّا تزدري اليوم بالماء حتى لا تشتهي فيما بعد على مثال الغني نقطة واحدة منه. لم يسْكَر أحدٌ منَ الناسِ مِنْ شُربِ الماءِ، ولا أصابَهُ صداعٌ بسببِهِ، ولا تعبت رِجْلَاه أو يداه منه أيضًا.

إنَّ عُسْرَ الهضمِ الذي يُرافق عادةً كثرةَ الطعامِ والشَّرابِ هو الذي يُوَلِّد أمراضَ الجسَدِ الصَّعبة. وَجْهُ الصَّائِمِ محتشم، لونه لا يحمَّر بصورةٍ فاقعة، بل يتزيَّن بلون شاحبٍ يَعْكِسُ عِفَّةَ صاحبِهِ. عيناهُ هادئتان وكذلك مِشْيَتُهُ. هو رصينُ الطَّلعةِ لا يَسْتَجْلِبَ الضَحك. أقوالُهُ مُتَّزنة وقلبُهُ نَقِيٌّ. تَذَكَّر القديسين القُدماء الذين: «طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ» (عب١١:٣٧). تَمَثَّلْ بحياتهم إنْ ردتَ أنْ تشتركَ في نصيبِهِم

في العهد الجديد:

من الذي أراحَ لعازرَ في أحضانِ إبراهيم (لوقا ١٦)؟ أليسَ هو الصَّوم؟ **حياة القديس يوحنا السابق كان صومًا مستمرًا**. لم يكن له لا سريرٌ ولا مائدةُ طعامٍ، لا أرضٌ مفلوحةٌ ولا حيوان يعلفه، لا قمح، لا رداء ولا شيء مما تحتاج إليه الحياة الحاضرة. لذلك **لم يوجد فيما بين الناس أعظم من يوحنا المعمدان**. وأيضًا الصَّوم هو الذي رفع بولس الرسول إلى السماء الثالثة (٢كو١٢:٢-٤). يأتي في ذكرِهِ على تعدادِ أحزانِهِ والافتخارِ بها (كو ٦:٥ و ١١:٢٧). وعلى رأس ما أتيتُ على ذكرِهِ حتى الآن يأتي مثال **ربنا يسوع المسيح** نفسه، الذي عن طريقِ الصَّوم، حافظ على الجسد الذي أخذه من أجل خلاصنا. بالصَّومِ رَدَّ عنه **هجمات الشيطان** مُعلِّمًا إيَّانا بهذه الطريقة أنْ نُهيِّئ أنفسنا، وأنْ نُدَرِّبها من أجلِ مواجهة التجارب.

لقد أخلى **الرَّبُّ** ذاته وتنازل مُقَدِّمًا هكذا فرصة لقاء **مع الشيطان ومحاربته**. فإنَّهُ لم يكن بِمَقدُورِ العدُوِّ أنْ يقتربَ عن طريق أُخرى من السَّيِّدِ بما أنَّهُ **إلهٌ**، لَوْ لَمْ يتنازلْ إلى مَصَافِّ البشَرِ «لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.» (في ٢ : ٧). وقد تناول طعامًا حتى بعد القيامَةِ لكي يثبت بهذه الطريقة جسده القائم له طبيعة ماديَّة.

أمَّا أنت الذي **تحشُو بطنك بالمآكل**، ألَا تُلاحظ رخاوتك من جرَّاءِ ذلك، ألَا تتفوَّه بكلمةٍ عندما ترى ذهنك يجفُّ بسبب فُقدان الأقوال المحيِيَةِ الخلاصِيَّة المغذيَّةِ إيَّانا؟ أمْ تجهل أنَّ مَنْ يَتَّخِذُ حَليفًا ينجح في التغلُّبِ على العَدَوِّ؟ هكذا فإنَّ الذي يُضيف على جسدِهِ شَحمًا يُقاوم

الرُّوح. كمَا أنَّ الذي يجعل للرُّوحِ حليفًا مُساعدًا يُسيطر على جسدِهِ. ذلك لأنَّ الرُّوحَ مناهضٌ للجسدِ حتى أنَّكَ إنْ أردتَ أنْ تُقوِّي ذهنك لجأتَ إلى الصَّومِ من أجلِ إخضاعِ جسدك. هذا ما يتَّفق مع كلام بولس الرسول الذي يقول: « إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.» (٢كور ٤:١٦)، أو «حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ.» (٢كور١٢:١٠).

وفي العهد القديم:

أَلَا تَزْدَرِي بالمآكلِ التي بكثرتها تُفْسِد؟ أَلَا ترغب في مائدةِ الملكوت التي يُهيِّئها الصَّوم دائمًا في الحياة الحاضرة؟ مَنْ الذي، عن طريق كثرة الطعام واستمرار التمتُّع الجسدي، نال مرةً موهبةً روحيَّة؟ لقد لجأ **موسى** إلى الصَّومِ مرَّةً ثانية مِنْ أَجْلِ تَقَبُّل الوصايا ثانية (خر٣٤:٢٨). لو لَمْ يَصُمْ أهل نينوى حتى مع بهائمهم لما نجوا من وعيد الخراب (يونان٣:٤-١٠). مَنْ هُمُ الذين تَنَاثرت أعضاءُ أجسادِهم وعظامهم في الصحراء؟ **أليسوا هؤلاء الذين اشتهوا أكل اللحم؟** عندما قنعوا بالمنِّ والماءِ الفائضِ من الصخرةِ، انتصروا على المصريِّين وعبرُوا البحرَ على اليبسِ، ولم يكن فيما بينهم ذو علَّةٍ. لكن ما أنْ اشتهوا اللحوم المطبوخة حتى عادوا إلى مصرَ ولم يروا أرض الميعاد. (انظر خروج ١٦ و مزمور ٧٧).

أَلَا تخشَى من التشبُّهِ بهم؟ أَلَا تُرْعِبُكَ شهواتُك التي ربما تَحرِمُكَ من الخيراتِ السماويَّة؟ **النبي دانيال** لم يكن ليشاهدَ مثل هذه الرُّؤى لو لَمْ يُنقِّ نفسه مُسبقًا عن طريق الصَّوم (دانيال١:٨-٢٠). إنَّ كثرةَ الطَّعام تَجُرُّ نوعًا من خيالاتٍ تشبه **غيومًا سوداء** تقطع استنارات الذهن **بالرُّوح القُدُس**. إنْ كان للملائكةِ طعامٌ فما هو إلَّا الخبزُ كما يقول **النبي داود**: «أكل الإنسان خبز الملائكة» (مز٧٧:٢٥). لا اللحم، لا الخمر ولا شيء آخر يشتهيهِ ذوو مَحَبَّةِ البَطْنِ.

الصَّومُ سلاحٌ أمام **جنود الشياطين**. «لأَنَّ هذَا الْجِنْسَ فَلاَ يَخْرُجُ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ» (متى١٧:٢١). حسناتُهُ لا تُعَدُّ. أمَّا نتيجة الشَّراهة **فهي الهلاك**، لأنَّ التمتُّع بالمأكل والسُّكر وما إليها، تَجُرُّ مُبَاشَرَةً كُلَّ نوعٍ من أنواعِ الخلاعةِ التي تليق فقط بالبهائم. فالسُّكر يُوَلِّد في النفسِ حُبَّ التمتُّع باللَّذاتِ الجسديَّة والزِّنى... بينما الصَّوم، يساعد حتى الزوجَيْنِ على نوع مِنَ الاتزان الجنسي وَيَحِدُّ منَ المبالغةِ في التمتُّع الجسدي، ممَّا يساعد كثيرًا على الاستمرار في حياة الصلاة.

فضائله على صعيد أوسع:

لكن حسنات الصَّوم لا تَقْتَصِرُ على الابتعادِ عن الأطعمة الشَهِيَّة، لأنَّ الصَّوم الحقيقيّ هو في الابتعاد عن كُلِّ شَرٍّ. الحدُّ من كُلِّ عَمَلٍ ظالمٍ، الابتعادُ عن كُلِّ ما يُحزن الآخرَ، بل إعانتُهُ في كُلِّ ما يحتاج إليه (إشعيا ٥٨:٦). لا تصوموا وأنتم في نزاعٍ مع الآخرين. أنتَ لا تأكُل لحمًا بل ترغب في مَأْكَلِ لحمِ أخيك. تمتنع عن شُرب الخمر، لكنك لا تقطع لسانك عن التجديف. تنتظر هبوط الليل لكي تفطر، بينما تمضي النهار كلَّه في المحاكم. الويل للسَّكارى من غير شُرب الخمر. **الغضب ما هو** إلَّا **سُكْرٌ** للنفسِ، لأنَّهُ يُخرج الإنسان عن صوابه كما يفعل فيه الخمر. **الحزن** أيضًا نوع من السُّكر لأنَّهُ يُظلمُ الفِكْرَ. **والخوف** أيضًا نوعٌ آخرُ عندما لا يُبرِّر مصدره. لذلك يقول المزمور: « ومن خوف العدو نَجِّ نفسي» (مز٦٣:٢). وبصورةٍ عامةٍ الأهواء النفسيَّة المختلفة التي تُسبب اضطرابًا للذهن، يمكن اعتبارها نوعًا من **السُّكر**.

أُنظر جَيِّدًا **إلى الغاضب** كيف يصبح مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ كالسَّكران، لا يعودُ يُسيطر على نفسِهِ، لا يلاحظ حالَهُ ويتجاهل وجود الآخرين. كما في حربٍ لَيْلِيَّةٍ يَضربُ عشوائيًّا. **يتفوَّه بكلامٍ غير لائق، يَشْتُم، يَضْرِبُ، يُهَدِّد، يحلف، يصرخ وكأنَّهُ على وشكِ الانفجارِ**. تجنَّب مثل هذا النوع من السُّكر كما ولا تسكر أيضًا بالخمرِ. لا تُفضِّل شربَ الخمر على الماء، حتى **لا** يسوقك السُّكر نفسه إلى الصَّوم. لا يمكن للسُّكر أنْ يكون مقدمة للصَّومِ المبارك كما أنَّ الطمع لا يقود إلى العدالة. كذلك لا تستطيع عن طريق الخلاعة أنْ تصلَ إلى العفَّة، وبصورةٍ عامَّة عن طريق الرَّذيلةِ أنْ تَصِلَ إلى الفضيلةِ. الصَّومُ له مَدْخَلٌ آخرُ. السُّكر يقود إلى الخلاعة، أما الخلاعة فهي **لا** تقوده إلى الصَّوم.

كما أنَّ المتباري يتدرَّب ويتروّض مُسْبَقًا، كذلك الصَّائم يجب أنْ يَتَعَفَّفَ مِنْ قَبْلُ. لا تُخَزِّنْ خمرًا في معدتك خلال أيام الفسحة الخمسة، وكأنَّكَ تريد أنْ تعادلَ أيام الصَّوم وتضحك على صاحب الوصِيَّةِ. إنَّ تعبَكَ سيذهب باطلًا مُجهِدًا جسدَك دون أنْ تُعَوِّض له في أيام الإمساك. تخزِن في جَرَّةٍ مثقوبَةٍ، يتسرَّب منها الخمر ويجري في طريقه، أمَّا الخطيئة فتبقى وحدها في مكانها.

العبدُ يهربُ مِنْ سَيِّدِهِ عندما يضربهُ. وأنتَ تنوي البقاء مع الخمر وهو يضربك كُلَّ يوم على رأسك؟ إنَّ أفضل مقياس لِشُرْبِ الخمر هو حاجة الجسد. إنْ تخطَّيْتَ هذا الحدَّ يأتي وجعُ الرأس، تثاؤب، تستنشق رائحة الخمر المخلّل، كُلُّ شيءٍ حولك يدور ويضطرب. السُّكر يقود إلى النوم الذي يشبه الموت أو الصَّحو الذي يشبهُ الحلْمَ.

أَتَعْلَمُ يا تُرى مَنْ هو مزمعٌ أنْ يأتيَ وتتقبَّلَهُ؟ هو **(المسيح)** الذي وعدنا بقوله: «نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلًا» (يوحنا ١٤:٢٣). لماذا إذًا تُسرع عن طريق السُّكر وتوصِدُ البابَ أمَامَ **الرَّبِّ**؟ هو **(الخمر)** يطرُد **الرُّوح القُدُس**. كما أنَّ الدُّخان يطرد النمل، كذلك تهرب المواهب الرُّوحيَّة مِنَ السُّكْرِ.

الخلاصة:

الصَّومُ حِشْمَةُ المدينة، سكينَةُ الأسواق، سَلام العائلات وضمانة لموجوداتنا. أتريدُ أنْ تَتَعَرَّفَ إلى وَقَارِهِ؟ قارن بين الليلة الحاضرة والنهار المقبل، تجدُ أنَّ المدينة تتبدَّل وتنتقل من السَّكينة الكُلِّيَّةِ إلى الضجة والاضطراب.

أرجو أن يتشبه نهار غَدٍ باليوم الحاضرِ من حيث السَّكينة والوَقار دون أنْ يفقدَ شيئًا من بهجتِهِ. عَسَى أنْ يعطينا **الرَّبُّ** الذي أهَّلنا للوصول إلى مثل هذا اليوم ما يهبُ عادةً للمجاهدين الأشداء، فإنَّهُ بمواظبتنا على الجهاد والصبر سوف يؤهِّلنا أنْ ندركَ ذلك الذي يوزِّع فيه الأكاليل، أنْ نصل هُهنا إلى أيام ذكر آلام **الرَّبِّ** وفي الدهر الآتي إلى مجازاتنا حسنًا على أعمالنا حسب حُكْمِ **المسيح العادل** الذي يليق له المجد إلى الأبد. آمين

إذا صرخَ شخصٌ ما في أحدِ الحشودِ: «**نارٌ!**»، ألَنْ يفقد الجميع فورًا الهدوء، ورباطَةَ الجَأْشِ ويَبدؤُون في البحثِ عن مخرَجٍ؟ وإذا لم يكن هناك مخرج، ألَنْ يغلِب عليهم الخوف الذي يجعلهم ينسون كُلَّ شيءٍ ويبحثون فقط عن طريقة ما لإنقاذِ حياتهم؟

حسنًا، الكنيسةُ المقدسةُ تصرخ: **«الدينونة على الأبواب! نار جهنم مشتعلة بالفعل في نفوسٍ كثيرة!»** لكن النَّاس يسمعون هذا بلا مُبالاة تقريبًا، ولا يكادُ أحدٌ منهم أنْ يَتَّخذَ خُطْوَةً للقيامِ بشيءٍ على الأقَلِّ مِنْ أجْلِ خلاصِ **أرواحهم الفاسدة**.

إذا رأى الإنسان، حتى في المنام، لهيبَ حريقٍ رهيبٍ، أفَلَا يستيقظ **مُرْتَعِبًا** ؟ تَرسِمُ الكنيسةُ في أذهانِ النَّاسِ صورةَ يوم القيامة ونَار جهنَّم بكُلِّ الصِّفاتِ القادِرَةِ على إيقاظ الناس من نومهم الرُّوحِيّ. لكن النَّاس لا يتأثَّرون بأيِّ أوصافٍ، ويستمرُّون بلا مبالاة في سُباتٍ روحِيّ، غالبًا ما يستمر حتى نهاية حياتهم.

لِمَ الإنسان غيرُ مبالٍ للغَايَةِ **بنفسِهِ الفانية**؟ مِنَ الواضحِ أنَّهُ لا يُؤْمِنُ بكُلِّ ما تُعَلِّمُهُ الكنيسةُ المقدَّسَةُ على لسانِ **المسيح** نفسِهِ وَرُسُلِهِ، **عن الدينونة الأخيرة وجهنَّم**. يعتقدُ الإنسان أنَّ كُلَّ شيءٍ سيكون مختلفًا إلى حَدٍّ ما، وسوفَ **لا** تمرُّ عليهِ **أهوال جهنم**– في النهايةِ، الجميع يعيشون مثله من دونِ أنْ يتأصَّل فيهم أيُّ خوفٍ.

حَقًّا، في هذه الفكرة، لا يختلف الإنسان عن خروف بلا عقل، يتبع القطيع كلَّه، ويذهب إلى حيث يذهب الآخرون، ويشعر بالرُّعب فقط عندما يرى الدَّمار الذي يقترب بأمِّ عينيهِ. يبدو للإنسان أنَّ أهوالَ جهنم سوفَ تفوتُهُ بطريقةٍ ما.

لماذا ؟ إنَّهُ يشيرُ إلى فكرةٍ: «***قد تكون الأمور على ما يرام***» التي يكرِّرها بلا شعور لتبرير استهتاره وإهماله وكسلِهِ. **الاستهتار هو ثمرة عدم الإيمان بالعذاب الأبدي**. إن كان الإيمان بالعذاب الأبدي حيًّا، إذا كان الإنسان يعرف أنَّ العذاب لا مَفَرَّ منه – تمامًا كما أنَّ احتراقه لا مَفَرَّ منه إنْ لم يهرب من النَّار– ألَا يكون أكثر حذرًا؟ تَذَكَّرْ ساعتَكَ الأخيرة ولنْ تُخطئَ أبدًا. عندها تتحقَّق كلمات **سيراخ الحكيم** هذه في هذا الإنسان.

لا يُؤمن الناس بالعذاب الأبديّ، أو أنهم يؤمنون لكنهم يعتقدون أنَّهُ لن يكون فظيعًا كما هو موصوف في الإنجيل. **لماذا؟** ألَا يمكن أنْ يكون هناك **عذابٌ أبديّ؟** ألَا يمكِنُنَا أنْ نقبل بوجود مثل هذه العذابات؟ في النهايةِ، يبدأ العذاب الأبدي على الأرض، يحمله الإنسان في قلبِهِ حتى قبل العبور إلى الحياةِ وراء القبر.

فليقلْ لنا أولئك الذين لا يؤمنون بالعذاب الأبدي: مَنْ لا يتألَّم أبدًا وهو على الأرض؟ مَنْ يعيشُ كُلَّ أيامِهِ سعيدًا وراضِيًا وبدون حُزنٍ؟ في النهايةِ، السَّعادة هي زهرة نادرة يبحث عنها النَّاس طوالَ حياتهم دون أنْ يجدوا ما يريدون. وإذا وجدوا، فبأيِّ سرعة تتلاشى تلك الزهرة! وما هو مقدار المعاناة عندما تقف العقبات في الطريق؟ هناك الكثير من العذاب مِنَ الحسَدِ ومِنَ الشُّكوكِ المختلفة ومِنَ الخوفِ مِنْ فقدانِ ما هو عزيزٍ.

غالبًا ما يَظهر الناس ممتلئين بفرحِ الحياة. كُلُّهم يضحكون، ولكن مَنْ مِنَ الذين يضحكون لا يضعف أحيانًا إذْ يشعُر بالفراغِ العاطفيّ الذي لا يستطيع شيء أنْ يملأَهُ: شعورٌ بالخيبَةِ والاستياءِ والإرهاقِ والملل القاتِلِ. قد لا يكون السُّعداء يحسبون الساعات، لكن كم هو مُضْجِرٌ الوقت للكثيرين، ولِكُلِّ واحدٍ في الكثيرِ من أيَّامٍ وسنواتِ حياته. كم يتوق المرء **«لقتل»** هذا الوقت العصيب!

مَن هو الذي لا يبتلعه **التعبُ؟** مَنْ مِنَّا لم يشعر قَطُّ أنَّ هناك شيئًا ناقصًا في حياتِهِ؟ هذا الإرهاق، أو الشعور بنقصان شيءٍ نحتاجه على الرَّغمِ مِنْ كُلِّ السَّعادةِ الظاهرة، ألَا يُظلِم سعادة الحياة؟ أليست نواة العذاب المرهق في النفس هي **نواة العذاب الأبدي؟** وماذا يُقال عن عذاب الضمير؟ من لم يختبره؟ في النتيجة، كل عملٍ ضد الضمير يترك في النفس مذاقًا مُرًّا واضطرابًا وقلقًا وعذابًا! بِكَمْ مِنَ القَلَقِ نَشعُر كُلَّ يومٍ، إلى أيِّ مقدارٍ يتجمَّع على مدار الحياة كلِّها؟

إذا نظرتَ بعنايةٍ، سترى في كُلِّ فرحٍ بشريٍّ الْتِمَاعَةَ دموعٍ، وستشعر بنَفَسِ الحُزن والأَسى والعذاب إذا كان هذا الإنسان يتجاهل ضميره ولا يفكِّر بوصايا الإنجيل. على عكسِ ذلك، انظرْ إلى المسيحيّ الحقيقيّ ومدى إشراقِ وجهِهِ وَسَجِيَّتِهِ الرُّوحِيَّة على الرَّغمِ مِنْ أيِّ حرمانٍ كبير؛ كيف أنَّهُ لا يقع في الإحباطِ اليائِسِ أبدًا، ويجدُ في كُلِّ

شيءٍ مصدرًا للسَّلامِ. ستلاحظ في دموعِهِ بصيصَ فرحٍ سامٍ غيرَ أرضيّ وأبديّ. إنَّ سعادةَ الخاطئ هي تفاحة جميلة ذات لبٍّ **أكله الدود**. لكن حُزنُ الرَّجل الصَّالح خُدْشٌ طفيف في جلدِ تفاحة **ذاتِ لُبٍّ سليم**.

إنَّ سعادة الأول، مع كُلِّ الفرحِ الظَّاهرِ المستمرِ، تأكُلها الدودة التي لا تموت والتي تعذِّب ضميره. أمَّا الأخير فيحتمل الأحزان في هذا العالم لكنها لا تضُر قلبه الذي يحمل بداخله بذرة الحياة الأبدية المتبرعمة.

ولا شيء يمكن أنْ يخفِّف مِنْ قَلَقٍ وعذابِ **روح الخاطئ**. على الرَّغمِ مِنْ أنَّ الكثيرَ مِنَ الأشجانِ يتلاشى بسرعةٍ كالأمواجِ التي تعبر البحر، إلَّا أنَّ هذا لا يعني أنَّها اختفت دون أثرٍ، لأنَّ موجةً أخرى سترتفع في مكانٍ آخر. إنَّ ضَعْفَ الصِّحة الجسديَّة لا يختفي دون أنْ يترك أثرًا، بلْ هو يتحوَّل لفترةٍ، فقط ليتراكم تدريجيًا ويتقدَّم، ويُؤَدِّي في النهاية إلى الانهيار الكامل للصِّحةِ وإلى المرضِ والموتِ نفسه. لأنَّهُ ما لَمْ تتعطَّل الصِّحة فما الذي يمنع الإنسان من العيشِ إلى الأبدِ؟ الشيء نفسه في النفسِ: لا تختفي المخاوف بدون أثرٍ! وكَمْ منها تتراكم فتُحدِث خرابًا تامًّا في حياة النفسِ!

ثمَّ أيُّ عذابٍ يَتولَّد في النفسِ! حقًّا أنَّ الإنسانَ يحصدُ ما يزرع. يجلِب العذاب لنفسهِ، لأعمالهِ، وكما يقول الرسول (١ كورنثوس ١١:٢٩) هو يأكل ويشرب الدينونة لنفسه من خلال العيش بِدُونِ اسْتِحْقَاق.

لا شيءَ تقريبًا ممَّا تقبله النَّفس دونَ وعيٍ يختفي من دون أثرٍ، على سبيل المثال: الجوّ والناس والمواقف التي تحيط بنا. قد تتشكَّل حياةُ البعضِ بكاملها تحت تأثيرِ ما يحيط بهم. وإذا كان الشَّخص يتلقَّى في نفسه باستمرار أفكارًا مثيرة للتجارب، ومن الأفكار السِّريَّة تنشأ في النفس المشاعر والرغبات وأعمال ضِدَّ الضمير، فكم من هذه الآثار السَّيئة تتراكم في النفسِ، وهي أشياء يتلقاها الإنسان يوميًّا، كُلَّ ساعةٍ وكُلَّ دقيقةٍ طوال سنوات حياته الطويلة؟ يَرسُمُ الإنسان ويخلق صورته المستقبليَّة مع كُلِّ عملٍ وفكرٍ، كمثلِ رسَّامٍ أو مُصَوِّرٍ. وحتى لو كانت هذه الصورة الآن مُظلمة وغير مُطوَّرة، فإنها سَتَطَوَّر يومًا ما كمثلِ صورة فوتوغرافية **للرَّبِّ** في يومِ القيامة، عندما يُظهِرُ **الرَّبُّ** خفايا الظلام (١ كور ٤:٥).

بالحقيقةِ، **الدُود «الذي لا يموت»** و **«لا ينام»** الذي يذكره **الرَّبُّ** ليس من اختراع العقل البشريّ. تُولَدُ هذه الدودة وتنمو **في عذابِ الضمير** أثناء الحياةِ الأرضيَّة. في النهايةِ، هناك الكثير من **الانتحارات!** ألا يقتل الناس أنفسهم لأنهم لا يستطيعون تحمل **عذاب الضمير** الذي لا يُطاق ولا يخمد، والذي يكون قد بدأ بالفعلِ؟ عذابات السَّعادة المحطَّمة، الآمال المضلِّلة، تقويض أسلوب حياتهم المنشود؟ وجهنَّم ليست شبحًا. إنَّ نارَ الأهواءِ التي تحوي في ذاتها **العذاب** هي بالفعلِ بداية نيران جهنَّم التي ستشتعل ولنْ تنطفئ، إذا أهمل الإنسان إطفاءها في هذه الحياةِ الأرضيَّة.

لهذا السبب جاهَدَ القِدِّيسون لكي يتذكروا دائمًا دينونة جهنَّم ونيرانها، كما فعل على سبيل المثال **القديس إفرام السوري**، الذي «ناحَ بمرارةٍ، إذْ نظَرَ مُسبقًا الدينونة بوضوح». لهذا السبب حفظَ أسلافِنَا دائمًا ذِكْرَ يومِ القيامَةِ في أذهانهم. بدأ التَحَوُّل إلى المسيحيَّة في عهد الأمير فلاديمير **(الكلام هنا عن روسيا: المترجم)** بتصوير مَرئِي ولفظِي ليومِ القيامَةِ. كان المصلُّون يغادرون الكنيسة دائمًا بِتَذَكُّر يوم القيامة المصور فوق العتبة، كما ينعشون ذاكرتهم بالصور على جدران منازلهم، وبالترانيم الرُّوحيَّة، إلخ...

وعلى العكس منْ ذلك، عندما تَراخى أحفادُهم اللاحقون في تذكُّرهم يوم القيامة، راحوا أيضًا ينسون وصايا **المسيح!** إنَّهم يتذكَّرون بشكْلٍ جيِّد ما يُشغلهم، وما هو أكثر مُتْعَةً لهم. فيما ينسون **الدينونة** الأخيرة لأنَّ تذكُّرها قد يدمِّر أفراح الحياة على الأرض؛ لقد نسوا ذلك، معتقدين أنَّ الدينونة بعيدة جدًّا ولا أحد يعرف متى ستكون.

كما أنَّ النَّاس لا يَقلَقُون من الزلازل التي لن تأتي قريبًا، على ما يعتقدون، أو أنَّها تأتي في وقتٍ غير محدَّد، كذلك لا يَقلَقُون بشأنِ **الدينونة الآتية**، وعدم إيمانهم لا يُؤَدِّي إلَّا إلى قَسَاوَةِ حالَةِ الإهمال عندهم. تمامًا كما أنَّ البشرَ لَمْ يشاؤُوا تصديق وعظ **نوح قبل الطوفان**، كذلك يبقى الناس الآن في حالة عدم إيمانٍ متهاونٍ، خاصةً أنَّ العِلْمَ الحديث يُشير غالبًا إلى أنَّ **الطوفان والدينونة الأخيرة** هي مجرَّد حكايات خُرافيَّة فارغة. إنهم يفكرون: «كيف يمكن أن تكون الدينونة رهيبة إذا كان الديان هو المسيح الذي يفيض للناس هذه المحبة العظيمة مع الوداعة والمغفرة؟» لكن هذه الوداعة هي لتزيد من خوفنا مِنَ القاضي. إذا كانَ خاطئٌ ما يعيش على الأرضِ خائفًا جدًّا منْ بارٍّ وهو يحاول أنْ يبتعد عنه ولا يقابله، فكيف سيلتقِي وجهًا لوجهٍ مع **المسيح**، الوديعُ والبارّ الذي لا يخطئُ، عندما يتذكَّر كُلَّ الأعمال التي ارتكبها والتي أغضبت **المسيح** طوال أيام حياته؟ إنَّ وداعة **المسيح** ستكون مرآة نَقيَّة تنعكس فيها كُلُّ نجاسةِ حياة الخاطئ وَظُلْمِهَا! وعلى الرَّغمِ مِنْ أنَّ وَجْهَ **الرَّبِّ** يبقى وديعًا بلا تغيير، أفلَا تجمع هذه الوداعة الجمر المشتعل على رؤوس الخطأة (أم ٢٥:٢٢ ؛ رومية ١٢:٢٠)؟ وَيْلٌ لمن لا تضرِم هذه الجمرات في قلوبهم التوبة المحرقة خلال حياتهم على الأرض. إذْ بسبب قَسَاوَةِ قلوبهم ستتحَوَّل هذه الجمرات إلى **نار جهنم** التي لا تطفأ!

كم نحتاجُ أيضًا إلى حفظِ ذكرٍ قويٍّ لدينونة **المسيح** الرهيبة الأخيرة **وعذابات جهنم النارية!** كم نحتاجُ نحن الذين نعيشُ على الأرضِ أنْ نبكي ونفرح، ولكن ليس بسبب ما يجعلنا نبكي ونبتهج عادَةً. نحن بحاجة إلى استبدال الحُزن غير المُجدي لهذا العصر بالحزن الذي يفيد الرُّوح في الحياة الأبديَّة؛ لتفضيل الفرح اللانهائي في **المسيح** على الأفراح **الباطلة والزائلة!**

كم علينا أنْ نتبعَ الكنيسةَ المقدسةَ، وأنْ نتنهَّد من أعماقِ نفوسِنَا ونُصلِّي: **«لتدخلْ قُدامك صلاتي، أمل أذنيكَ إلى طلبتي فقد امتلأتْ من الشرور نفسي، وحياتي من الجحيم دَنَتْ»**

أو بكلماتِ ترنيمة هذا العيد الحاضر: **«ويلٌ لي أيُّتها النفس المُظلمة! إلى متى لنْ تبتعدي عن الشَّرِ؟ الى متى تبكين بقنوط؟.. لماذا لا ترتعدين أمام كرسي دينونة المخلّص»**.

وَ: **« أتفطن في اليومِ الرَّهيب وأنوح على أفعالي الشِّريرة كيف أجاوب الملك الذي لا يموت، وبأيَّةِ دالَّةٍ أعاين الديَّان أنا الشَّاطر، لكن أيُّها الآب الحنون والابن الوحيد والرُّوح القُدُس ارحمني»**.

العمق والاندفاع والانبساط

● يظنُّ بعض الأطباء النفسيِّين أنَّ «أيَّام الاكتئاب» ليست أيامًا ضائعة؛ ولكنها تُساعدنا بالفعلِ لِنَنْمُو وننضُج. النُّمُوّ نحو النضج لا يحدث في خطٍّ مستقيم إلى أعلى.

● الشخص الذي يَتَّجِه نحو أرضٍ صلبة مرتفعة لا يشعر لفترة ما بشيء يحدث له. ولكن يحدث أنْ تُقابله فجأةً مُشكلة صعبة عندما يدخل في مجرى مُنخفض، وعندئذ يشعر الشخص لفترةٍ ما باليَأسِ. وعندما يرتَطِم بالقَاعِ يشعر بالاكتئاب، ويُصبح مرتعبًا ويُقَرِّر أنْ يفعلَ شيئًا. تبدأ قوَّةٌ دافعة تُحَرِّكه إلى أعلى، وتَدفعه إلى الأمام كُلَّما يعرف نفسه أكثر. وأخيرًا فإنَّه يَغلِب ما لم يَكُن يَظُنُّ أنَّهُ يمكنه الانتصار عليه. هذه القوَّة الدَّافعة تأتي به إلى سَهلٍ أكثر ارتفاعًا عمَّا كانَ فيه من قَبلُ. وعند هذه النُّقطة فإنَّهُ يرتفع نحو حياةٍ ذات مستوى أرفَع. فالنُّموّ يحدث إذًا من خلال ثلاثة اتِّجاهات: العمق والاندفاع والانبساط. وبحسب هذه النظريَّة، فالعُمق الذي يحدُث في مزاجنا، يُساعدنا في النموِّ نحو النُّضج.

العمق الذي يحدُث في مزاجنا، يُساعدنا في النموِّ نحو النُّضج.

الله يبني كاتدرائيَّة

● ذهبت راهبة إلى الطبيب النفسي الشهير **د. فكتور فرانكل** لأنَّها كانت تشعر بالاكتئاب. وكان الدكتور فرانكل يُؤمِن أنَّ الناس يَقدرون أنْ يُواجِهوا أيَّ شيءٍ في الحياةِ إنْ كانوا يَجدون مَنْ يُساعدهم على اكتشاف المعنى في هذه الظروف. ساعَدَ الدكتور الراهبة لِتَعبُر حالة الاكتئاب الذي تَشعر بِهِ، بِأَنْ شَرَحَ لها أنَّهُ يلزم قبل بناء أيِّ كاتدرائيَّة أنْ يُقضَى وقتٌ طويل في حفر الأساس، لدرجةٍ أنَّهُ مِن طولِ هذا الوقت يستغرب الإنسان ما إذا البِنَاء سيرتفع فِعلًا. وقالَ لها: « إنَّ الله يُريدُ أنْ يبني كاتدرائيَّة في حياةِ كُلِّ شخص. ولكي يفعل هذا. فإنَّ عليه أوَّلًا أنْ يحفُر في الأرضِ من خلالِ الاكتئاب». وبعدَ أنْ وَجَدَت الراهبة معنًى للاكتئاب الذي ينتابها، عادت تقول: « لابُدَّ أنْ أَسمح للهِ أنْ يفعل هذا في حياتي، إنَّ له معنى، إنَّ الله يَسعَى لِيبني كاتدرائيَّة، إنَّهُ يعمل في حياتي». ومن ثمَّ فقد شُفِيَت من الاكتئاب.

ينتابني الاكتئاب كُلَّما كان الله يعدُّ لي بَرَكةً أعظَم في خِدمتي. إنَّ السحابة تكون سوداء قبل أنْ تنقَشِعَ، وَتُلْقِي ظِلالًا قاتمة قبل أنْ تَسكُب طوفان بَرَكتها. لقد صارَ الاكتئاب بالنسبَةِ لي مثلَ نبيٍّ في ثيابٍ خَشِنَةٍ، يوحنَّا المعمدان، يُنادي بِقُربِ مجيء بركات الرَّبِّ الأكثر وفرة.

ما نتعلَّمه مِنَ الهجرانِ

● يبدو كثيرًا أنَّ الله يَسحَبُ ظُهوره عنَّا، وهذا ما يَخلِق فينا الشعور بالتَخَلِّي.

● يَصِف **العلَّامة أوريجانُس** هذا الشعور بالتَخلِّي هكذا:

ثُمَّ تبحث (عروس نشيد الأنشاد) بتوقٍ عن عريسها الذي كَشَفَ عن ذاتِهِ ثُمَّ اختفَى.

يحدث هذا على مدَى السِّفر، سِفر نشيد الأنشاد، ويُمكن لِكُلِّ مَن اختَبَر هذا أنْ يَفهمه. وكثيرًا – والله شاهِدي – ما يحدث أنْ أشعُر أنَّ العريس يقترب مِنِّي وَيَلتَصِق بِي جِدًّا. وفَجأةً يَمضي ولا يمكنني أن أَجِد مَن أَبحَث عَنهُ. وأبدأ ثانيةً في الشَّوقِ لمَجيئِهِ وأحيانًا يعود، وعندما يظهر لي وأمسكه بيدي، يهرب مِنِّي ثانيةً. هذا ما يحدث لي كثيرًا إلى أنْ أُمسِك بِهِ حقيقَةً وأرْتَفِع وأقومُ مستَنِدًا على حبيبي.

● **وَيُسَمِّي ديادوخوس الفوتيكي هذه الظاهرة: «التَعلُّم مِنَ الهِجران».**

● **الله يختبر إيماننا وعطشنا إليه.**

● **هوَ يرفُض أنْ يمدّنا ببرهانٍ واضح لوجودِه لِئَلَّا يلغي الاحتياج إلى الإيمان.**

الهجران التعليمي لا يحجب بأيِّ طريقَةٍ روح النُّور الإلهيّ.

إنَّ النعمة فقط هي التي تَخفي وجودها عن النَفسِ حتى تجعلها تَتَقَدَّم.. ولتلجأ بخوفٍ شديدٍ واتضاعٍ عظيمٍ لمعونَة الله ...

إنَّها مثل الأُم التي تَجِدُ ابنها يتمرَّد على النظام الروتيني للغِذاءِ، فَتُبعده عن ذِراعها لفترةٍ حتى إذا ما خافَ من منظر الناسِ أو الحيوانات، فإنَّه يعود ليستلقي ويأوي ويستكن في حِضنِ أُمِّهِ...

الهجران التعليمي يأتي بالنفسِ إلى الاتضاع والحزن وفُقدان الأمل التام، حتى تعود النَفسُ التي تبحث عن المَجدِ والمُتَعَظِّمَة إلى سابق اتضاعها، وتعود بالقَلب إلى مخافة الله، إلى الدموعِ وإلى الرغبة القويَّة القاطعة إلى جمال الصَّمت. **ديادوخوس الفوتيكي**

يختبر الله إيماننا وعطشنا إليه. ■

سؤال: أنا مُنجَذِبٌ بِقُوَّةٍ إلى الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة، ولكنِّي **مِثْلِيٌّ**. هل يُمكن مَسْحِي بالميرون المُقَدَّس، على أيَّةِ حال؟. وأيضًا: كيفَ سيُعاملني أعضاء الكنيسة الآخرون ؟

الجواب: الكنيسة، كمُجتمع أو كيان روحيٍّ هو كيان مُحِبّ، تتبع مثال **المسيح**، تُرَحِّب في حياتها الإيمانيَّة بجميع الباحثين المُخلصين بمواهبهم، وشخصياتهم الفرديَّة، وخصائصهم، وحتَّى خطاياهم. وكما احتَضَنَ السيِّد **المسيح** البَشَريَّة لِيَشفِي ويُحَرِّر الناس على صورته ومثاله، كذلك تفتح الكنيسة ذراعيها للجميع لكي يشتركوا في ملء النعمةِ والحقِّ، مُبَشِّرينَ ومُعمِّدينَ ومُعَلِّمينَ بكُلِّ ما أوصَى به **المسيح** (متى ٢٨:١٩-٢٠).

وكونك مهتمًا بإمكانيَّة الاستقبال أو الانضمام في عضويَّة الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة، فإنَّ السؤال الحاسم هو: «ما إذا كنتَ على استعداد لقبولِ الكنيسة بشروطها الخاصَّة، في ضوءِ رسالتها الخاصَّة، أو فقط بشروطِكَ الخاصَّة.»

فَكِّر في سبب «انجذابِكَ بِقُوَّةٍ» إلى الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة. هل يرجع ذلك إلى عِتقتها، أو عبادتها المميّزة، أو طابعها التاريخي؟ إلى هذا، أَأَنتَ على استعدادٍ لِتَحَدِّي شهادتها بأكملها، بما في ذلك عقيدتها وتعليمها الأخلاقي وروحانيَّتها؟ لقد ذكرتَ أنَّكَ **مِثْلِيٌّ**، مُشيرًا إلى أنَّكَ تتساءَل عمَّا إذا كان كونُكَ **مِثْلِيًّا** يمنعُكَ من عضويتها. ربما تعلم أنَّه بحسب تعاليم الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة التقليديَّة، يُعَدُّ النشاط الجنسي **المِثلِيُّ** خطيئة مثل **الزِنَا والفَحشاءِ وغيرها من أعمال عدم الطهارة الجنسيَّة**. ففي حين أنَّنا لا نستطيع اختيار ما يغوينا، إلَّا أنَّنا نستطيع إختيار ردَّ فعلنا على الإغراء. الاعتراف والغفران مُتاحان للذينَ يُكافحون مُقاومةً للخطيئة، ولكن نِيَّة الاستمرار في ممارسة **المِثليَّة** من شأنها أنْ تُعيقَ العضويَّة في الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة. إلى ذلك، تأييدها كنَمَطِ حياة مقبول داخل الكنيسة من شأنه أنْ يَضُرَّ بالجماعةِ التي تُقَدِّر المُمارسة الأخلاقيَّة التاريخيَّة التي ورثناها.

إنَّ مِثلِيًّا تائبًا وَمُجاهدًا يمتنع عن الأفعال الجنسيَّة المِثلِيَّة يُمكن قبوله في الكنيسة بعد مسار التلمذة المعتاد، ولكن من الأفضَل له أو لها أنْ يبقى هذا الأمر في كرسِيِّ الاعتراف، تمامًا كما هو معمول بِهِ مع كُلِّ الخطايا الأُخرى. (من ضمنها: وضع الشروط الكنسيَّة المطلوبة روحيًّا، من صوم وصلاة وتوبة حقيقة صادقة.)

وبما أنَّكَ سَلَّطتَ الضوءَ على هذه المسألة، اسمح لي أنْ أُضيفَ بعض الملاحظات التوضيحيَّة. ليسَ الأمر المثليَّة وَحسب. تُعارِض الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة ثقافة التساهل الحاليَّة في مجال الحياة الجنسيَّة بشكلٍ عام، وخاصَّةً في ما يتعلَّق بالمُساكنة والإباحيَّة ومُختَلف أشكال الشهوانيَّة.

لقد التزمت الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة دائمًا بموقف راسخ بشأن قُدسيَّة الجَسَد على اعتباره **هيكلًا للرُّوح القُدُس**، كما قُدسيَّة الزَّواج، حيث تجد موهبة الحياة الجنسيَّة تحقيقًا حقيقيًّا. تُعتبر المِثليَّة مُناقضة لهدف الله المُعلَن في خلقهِ للجِنسِ والزَّواج (تك ٢-١)، وهو الموقف الذي أَكَّده **السيِّد المسيح** بوضوح (مر ١٠:٦-٩). ومع ذلك، لا ينبغي عزل المثليَّة وكأنَّها الخطيئة الوحيدة. بل يجب أنْ يُنظَرَ إليها في السياقِ الأوسع لخطيئة الإنسان، والتي تشمل خطايا مثل الدعارة وعبادة الأوثان والزنا والسرقة والجشع والسُّكر التي تُعتبر جميعها، بحسب القديس بولس، عوائق أمام دخول **ملكوت الله** (١ كور ٦:٩-١٠).

الأكيد أنَّ الكنيسةَ الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة، بِحَدِّ ذاتها هي مجتمع تاريخي من القديسين والخطأة. يُعاني أعضاؤها من مختلف الميول الشريرة والإغراءات والسَّقطات. يجب أنْ تكون الكنيسة مليئة بالرَّحمةِ والمغفرةِ تُجاه جميع أنواع الخطأة داخل شركتها وخارجها. ومع ذلك، لكي تكون شهادتها وكلمتها المُعلَنَتَانِ أصيلَّتين، يجب أن تكون متَّسِقَةً مع طبيعة الكنيسة ورسالتها المُعطاةِ **من الله**، حتى ولو خاطرت بأنْ تكون قاسيَّة وعنيفة في نَظَرِ ثقافة مُتساهلة. لكي تكون الكنيسة على طبيعتها وتخدم بفعاليَّة، يجب عليها أنْ تَسعَى إلى تجسيد الرؤيَةِ نفسِها التي تدعو العالم أجمع إلى مُشاركتها، أي أنْ تكون « كَهَنُوتًا مُلُوكِيًّا، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ.» (١بطرس ٢:٩).

الفصل الثلاثون

(تتمة من العدد السَّابق)

وفي وسط كُلِّ هذا العمل، كان عددُ الناس الذين يأتون لطلبِ الإحسان يتزايد، بالنسبةِ نفسها التي يتزايد فيها الشعب المؤمن الذي يُشارِك في القداديس الإلهيَّة. كما كان **نكتاريوس** يتخلَّص بمعونة **الرَّبِّ** من السارقين والشَّحاذين المحترفين، بإعطائهم بعض النقود.

وكان كوستي يواجه هذه الصَدقات بمرارةٍ فَيَسعَل، ويبلع ريقَهُ، لكنه لم يَعُد يجرُؤ على الاعتراض منذ حادثة ذلك الرَجُل الذي وَقَّعَ على السندات، والذي تحوَّلت الخمس والعشرون دراخما التي أعطاها إياها **نكتاريوس** إلى ثروة صغيرة في اليومِ نفسِهِ. وتَذَكَّرَ كوستي ما حدث معه في تلك الليلة المُباركة، وما قال له **نكتاريوس** :

ـ « نحنُ فقراء يا كوستي، أمَّا الله فلا يَعْوُزُهُ شيء. هو يقرِّر ونحنُ نتَلَقَّى. لا تفقِد الأمل أبدًا ».

وفي أحدِ الأيامِ جاءَ مسكين آخر. كان طويل القامة، شاحب الوجه إلى درجة الاصفرار، أَشَيْبَ الشَّعر. وكان يَمسك بيدِه وصفة طِبِّيَّة ويرتجف. وتمتمَ:

ـ « أنا خارجٌ للتَوِّ من المُستَشفى المُقابل يا صاحب السِّيادة.. ».

ـ « وماذ تبتغي؟».

ـ « إنِّي عامل بِناء، وقد طَلَبَ مِنِّي الأطباء أنْ أتوَقَّف عن العمل لمدَّة خمسة عشرَ يومًا. وأعطوني هذه الورقة التي كُتِبَت عليها مجموعة من الأدوية، ولكن مِنْ أينَ المال؟ فأنا لا أملُك فلسًا واحدًا. وإذا لم تُساعدني فسأموت حتمًا. ».

وفي الحالِ أرسَلَ **نكتاريوس** البوَّاب ليستدعي كوستي، ولكنه لم يَكُن يملك في ذلك اليوم ما يشتري به علبة كبريت: فقد أَعطَى كُلَّ ما وَصَلَهُ في ذلك الأسبوع إلى الناشر. وكان كتاب أنطيوخيوس قَيْدَ النَشر، وكانت تُطبَع منه نُسَخ إضافيَّة دون توقُّف. فتبادَلَ **نكتاريوس** وكوستي النَظرات للحظات. ثُمَّ تَذَكَّرَ **نكتاريوس** :

ـ «آه، انِّي أملك طردًا يحتوي على ثياب داخليَّة، وقد وصلني هديَّة من مِصرَ ».

فطَلَبَ من كوستي أنْ يَستدعي **السيِّدة العجوز ستاسِيَّا** التي تهتم بالغسيلِ. وعندما حَضَرَت بادرها:

ـ « سيِّدة أناستازِيَّا، أجلِبي لي من فَضلِك الطَرَدَ الذي وصلني من مصرَ ويحتوي على الثياب الاحتياطيَّة. ».

ـ «لماذا يا صاحِب السيادة؟ ».

ـ « يجب أنْ نُعطيه لأخينا الحاضِر هنا. »

ـ « لكني أعتقد أنَّكَ لا تملك غيرها من الثيابِ الداخليَّة الاحتياطيَّة يا صاحب السِّيادة. »

ـ «لا يَهُمّ !».

فخرجت السيِّدة مطرقة وهي تتذَمَّر. ثُمَّ عادت بعد لحظات وقد أحضرت الطَرد. فدَفَعَهُ **نكتاريوس** للزائرِ الشَّاحب وقال له:

ـ «اسمع يا أخي، في هذا الطَرد ثياب داخليَّة جديدة: إذهَب إلى سوق البرغوث في موناستريَاكي وَبِعها. واشتَرِ بثمنها الأدوية، وما يضمن عيشك خلال الأسبوعين التاليَيْن. اذهب بِبَرَكَةِ الرَّبِّ.».

فتأثَّرَ الرَجُل الشَّاحب، وخَطَا خطوتين بِصعوبَةٍ، ثُمَّ انحنى إلى الأرض وَقَبَّلَ طَرَفَ جِبَّتِهِ. وخرَجَ يحمل الطَرد وهو يكرِّر عرفانه بالجميل دون انقطاع.

(يتبع)

لِتَكُن مشيئتُكَ يَا ربُّ

رُوِيَ عن **الأنبا بَفْنُوكِيوس** أَنَّهُ لم يَكُن يَشرب الخمرة إطلاقًا. وفيما كان ذاتَ يومٍ في الطريقِ، التَقى زمرة من اللصوص يُعاقرون الخمرة. وكان رئيس الزُمرة يعرفه ويعلم أنَّه لا يشرب خمرًا بتاتًا. فلمَّا شاهَدَ ما كان عليه من الإعياءِ الشديدِ، مَلأَ كأسًا من الخمرِ وأمسَكَ بسَيفِهِ وقال له: «إنْ لمْ تشرب؛ قتلتُكَ».

أمَّا الشيخ فتناولَ الكأس وشَرِبَها، مُدرِكًا أَنَّهُ كان يُتَمِّم بذلك مشيئة الله لِيَكسب السَّارق. عندئذٍ طلبَ إليه السارق المغفرة، وقال: « سامحني يا أَنْبَا، لأنَّني أَحزنتُكَ». فقال له الشيخ: «إنِّي واثقٌ بأَنَّ الله، بسبب هذه الكأس، سيَرحَمُكَ الآن وفي العهد الآتي». وقال له رئيس اللصوص: «إنَّني واثقٌ بالله، وبِأَنَّني منذ الآن لن أتَسَبَّب لأَحَدٍ بِأذَىً».

وهكذا كَسِبَ الشيخ الجماعة بِأَسرِهَا بِفَضلِ تَخلِّيهِ عن إرادته الخاصَّة من أجلِ **الرَّبِّ يسوع المسيح**.

الرَّبُّ يسوعُ المسيح
الضَّابطُ الكُلِّ

تتمة من العدد السابق

الإصحاح الرابع

«**هكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ** (كلُّ انسان) **كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ، وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ**» (١كو٤:١).

ولكي أوَضِّح الأمر أكثر أقول: لو أنَّ الطعام الذي أُعطِيَ لكلِّ الأعضاء، اقتَصَرَ على عُضوٍ واحد فقط، فلن يكون فيما بعد خاصًا بذلك العضو. بمعنى أنَّه، إنْ لَم يكُن ممكنًا أنْ يُغذِّي جميع الأعضاء، فإنَّه سيصبح طعامًا غريبًا على ذلك العضو أيضًا. ولكن إنْ أصبَحَ طعامًا مُشتركًا لكُلِّ الأعضاءِ، سيُعتبرَ طعامًا خاصًا بذلك العضو، وبكلِّ الأعضاء أيضًا. هكذا يحدث مع الأموال، فإذا تمتَّعتَ بها أنتَ وحدَكَ فقط، فإنَّكَ ستفقدها، لأنَّكَ لن تَجني ثمار استثمار هذه الأموال. ولكن إنْ امتلكتها عن طريق فتح شراكة مع الآخرين، فحينئذٍ ستتضاعَف قيمتها وستحصل على أرباح كثيرة. ألَا ترى أنَّ الأيدي هي التي تُقَدِّم الطعام، والفم يمضغه ليجعله لَيِّنًا، والمعدة تستقبله؟ وهل تقول المعدة، لأنَّني أنا التي استقبله، فيجب أنْ أستحوذَ عليه بالكامِلِ؟

إذًا لا ينبغي أنْ تقولَ مثل هذا الكلام بالنسبَةِ للأموالِ، لأنَّ الذي يستقبلها وتُصبح في حوزته، يُصبح مَدينًا ليُقدمها للآخرين. تمامًا كما أنَّهُ مِنَ الخطَرِ أنْ تحتفظَ المعدةُ بالأطعمةِ، وألَّا توَزِّعها على بقيَّة الأعضاء - **لأنَّها بهذا سَتُدَمِّرُ كُلَّ الجسد** - هكذا يكون مِنَ الخَطَإِ أنْ يحتفظَ الأغنياءُ لأنفسهم بما يمتلكونه، لأنَّ هذا سيُؤدِّي إلى هلاكِ أنفُسِهِم، وهلاكِ الآخرين أيضًا. والعين أيضًا تستقبل كُلَّ النور، لكنها لا تحتفظ به لنَفسِهَا فقط، بَل تُنيرُ كُلَّ الجَسَدِ، ومادامت هي عين، فليسَ لها الحقّ بالطبيعة أن تحتفظ بالنُّورِ لِنَفسِهَا. أيضًا الأنف يَسْتَشْعِر الروائح، لكنه لا تحتفظ به لِنَفْسِهِ، بل تنقله للمخ، ويَجْعَلُ المعدة شريكة لهذا الإحساس بالروائح (الروائح تثير غُدد اللعاب وافرازات المعدة)، وهكذا ينتعش الإنسان كُلُّهُ. والأرجُل هي وحدها التي لها وظيفة السير، ولكنها لا تنقل نفسها فقط، بل تَنقُل كُلَّ الجسد.

هكذا أنتَ أيضًا قد أُعطيتَ أموال، فلا تستحوذ عليها وحدك، لأنَّ هذا يؤَدِّي إلى هلاكِ كُلِّ شيء، وبالأكثر إلى هلاكِ نفسِكَ. هذا الأمر، لا يحدث فقط لأعضاءِ الجسد، فإنَّ الحَدَّادَ أيضًا إنْ لَمْ يُرِد أنْ يُعطِيَ فَنَّ صَنْعَتِهِ لِغيرِهِ، فإنَّه يَضُرُّ نفسه. وهذا ينسحب على أصحاب الحِرَفِ الأُخرى أيضًا. مثلِ صانع الأحذية، والفلَّاح، والفَرَّان والخَبَّاز، وعلى كُلِّ مَنْ يُمارِس مهنة أساسيَّة، فإنْ لَمْ يُرِد أنْ يُعطي فنون صنعته لِآخرَ، فإنَّه لَنْ يَضُرَّ الآخرينَ فقط، بل وسيَضُر نفسه أيضًا. ولماذا أتكلَّم عن الأغنياء فقط؟ فالفُقراء أيضًا، إنْ كان لهم نفس العيب الذي فيكم أنتم أيُّها الأغنياء، وهو الطمع، فإنَّهم سَيُؤذونكم إلى أقصَى حدٍّ، وسريعًا سَيُحَوِّلُونَكُم إلى فقراء، وربما سَيُدَمِّرونَكُم، إنْ لم يُريدوا أنْ يعطوكُمْ ممَّا لهم، عندما تكونون في احتياج، مثلما هو الحال لو أنَّ الفلَّاح لم يُرِد أنْ يُعطيكُم من خيراتِ عمل يده، والبَحَّار عندما لا يرغب في أنْ يُقَدِّم لكم من ثمارِ رحلاته التجاريَّة، أو أنَّ الجندي لم يُرِد أنْ يُقَدِّم بطولات في الحروب.

وحتى وإنْ لم يَكُن هناك أيُّ شيءٍ آخر، فعلَى الأقل من أجلِ هذا يجب أنْ تخجَلُوا، وأنْ تَتَمَثَّلُوا بِرِقَّةِ ولُطفِ أولئكَ الذين يُقَدِّمون أنفسهم. أَلَا ينبغي أنْ تُعطِيَ ولو جُزْءًا من ثروَتِكَ دونَ أنْ تحصلَ على مقابلٍ مِنْ أحدٍ. وفي هذه الحالة، فإنَّ كُلَّ شيء سيتغيَّر تمامًا. لأنَّه أنْ يُعطَى أحدٌ، وإنْ يَأخُذ، فهذه بدايةٌ لخيراتٍ كثيرة سَتَعُمَّ كُلَّ مجال، البذار، والتلاميذ، والتقنية. بمعنى أنَّهُ لو أرادَ أحدٌ أنْ يحتفظَ لنفسِه بمهارة فنونه، سَيُدمِّر نفسه وحياته كَكُلّ. وَلَوْ أنَّ الفلَّاح أخفَى في مَنْزِلِه البُذورَ،فإنَّه سيَتَسَبَّب في مجاعةٍ رهيبةٍ. هكذا الإنسان الغنيّ لو أنَّه سَلَكَ على هذا النحو بالنسبَةِ لأموالِه، فإنَّه سيُدَمِّر نفسه قبل أنْ يُدمِّر الفقير، ويجمع فوق رأسه لهيب الجحيم المخيف.

تمامًا مثل المعلِّمين، فإنَّه حتى وإنْ كان لديهم تلاميذ كثيرون، فإنَّهم ينقلون لكُلِّ واحد، شتَّى أنواع المعرفة التي يمتلكونها، هكذا أنتَ أيضًا،

فلتُقَدِّم الإحسان لكثيرين. وليَقُل الجميع عنكَ، أنَّهُ أنقَذَ هذا الشخص من الجوعِ، وأنقَذَ آخَرَ من المَخاطِرِ، وأنَّ فُلانًا كادَ يهلَك، لولا أنَّكَ شَمِلتَهُ بالرِّعايةِ والعنايةِ، بنعمة الله. وأنَّكَ أنقذتَ آخَرَ من الوِشاية، وأَطعمتَ إنسانًا غريبًا، وَكَسَوتَ عُريانًا. هذه الكلمات تُعَدُّ ٱسْمًا من أيِّ غِنًى مهما كان مقداره، ومن كنوزٍ كثيرة، وتُساهم في عودة الجميع إلى الطريقِ المُستقيم، أكثر من اقتناء الملابس المُذَهَّبة، والخيول، والعبيد. أمَّا التقاعُس عن فعل هذه الأمور الصالحة، فهي التي تجعل الإنسان يبدو مُزعِجًا، وَيُبْغَضُ مِنَ الجميعِ كَعَدُوٍّ، في حين أنَّ الأعمال الصالحة تُعْلِنُ عن الأُبوَّةِ، وفعل الإحسان المُقَدَّم للجميع. والأَهم من كُلِّ هذا، أنْ تكون أعمالك في كُلِّ مكان موضِعَ رِضَى الله.

وهذا يحدث إذا قالَ أحدُ الأشخاص إنَّكَ ساعدته في إعداد ٱبنته للزَّواجِ، وقالَ آخرَ إنَّكَ جعلتَ من ابنِهِ رَجُلًا، وقال غيره أنَّكَ أبطلتَ ومنعتَ كارثة كادت تحلُّ بي، وقالَ آخرَ إنَّكَ أنقذته من أخطارٍ. إنَّ هذه الكلمات تُعتبر ٱسْمًا من تيجانِ ذهبٍ، حتى أنَّها تُصبح بمثابة إعلانات لا حصرَ لها، عنَّ محبَّة شخصٍ ما داخل المدينة. وهذه الأصوات هي أصوات مُفرِحة وحُلوة أكثر من أصوات الوُعَّاظِ الذين يتملَّقون الولاة. إنَّهُ لأَمرٌ عظيمٌ جدًّا أنْ يدعو البعضُ شخصًا ما أنَّهُ مُنقِذ، وَمُحسِن، ومُدافع، وأنْ يَنسبوا إليه صفات إلهيَّة، لا أنْ يدعوه طَمَّاعًا ومُتَباهِيًّا، وَشَرِهًا أو جَشِعًا، وبخيلًا.

أرجو منكم ألَّا تشتهوا أيًّا من هذه الصفات، بل أنْ تَشتهوا العكسَ. وبما أنَّ هذا الكلمات عندما تُقال هنا على الأرضِ (مُنقِذ ، مُحسِن ، مُدافع)، تجعل الإنسان في حالة بهاء، ومعروفًا للكافَّةِ، وعندما تُكتَب في السماء، يكشفها الله بشكلٍ عَلَنِيّ في يوم الدينونة. فتَأَمَّل مِقدار المَجدِ والبهاء اللذين سيتمتَّع بِهُما. لَيْتَنَا جميعًا ننال هذا المَجد وهذا البَهاء، بالنعمةِ ومحبة البَشَر اللتين لربنا يسوع المسيح الذي يليقُ به مع الآب والرُّوح القُدُس، المجد والكرامة إلى أبدِ الآبدين، آمين.

(يتبع في العدد القادم)

ينبغي لنا أنْ نَتَمَسَّكَ بأقوالِ ربِّنا، ونُحافظ على خلاصِ نفوسنا لنكون أهلًا لقبول المواهب الإلهيَّة، والخلود في النعيم الأبدي. فإنَّ الذين كانوا ينظرون إلى طهارة الأجسام والأواني، وتفضيل الأيام حتى بَلَغَ من جهلهم انهم ينكرون على مَن يفرك يوم السبت سُنبلةً أو يَشفي مُخَلَّعًا وأمثال ذلك، سَقَطوا من مراتب الفضيلة، وَحُسِبُوا مع الخائبين. لأنَّه إنَّما يُريد رَحمةً لا ذبيحةً. ولهذا ينبغي لنا الاهتمام بِمَصالِح النُفوس لا بالأيامِ بِحَدِّ ذاتها، ولا بالأشياء المصنوعة لخدمة الناس. ولِهذا لا نَظُنُّ يا هؤلاء أنَّهُ يجدينا نفعًا في أمرِ الخلاص أنْ نغتصب أموال اليتامي والأرامل وأمثالهم، ونصنع بها كأسًا للقُربانِ مِنْ ذَهب مُرَصَّعًا بالحجارةِ الكريمة، ومائدة الأسرار المُقَدَّسة، وغير ذلك. ولكن إنْ أردتَ يا هذا أنْ تُكَرِّم الذَّبيحة الطَّاهرة، فَأَكْرِم الأَنفُس التي ذُبِحَتْ لِأَجلِهَا، لأنَّ سَيِّدنا له المُجد نَزَّلَ هذه الأَنفُس منزِلَتَهُ حيث وَبَّخَ الذين لا يهتمون بها بقولِهِ: جعتُ فلم تُطعموني، وعطشتُ فلَمْ تَسقوني، وكنتُ عُريانًا فَلَمْ تَكسوني، وغير ذلك من العبارات الواردة في الإنجيل الشريف. فإنْ أَهملتَ هذه وتركتها، وصنعتَ لتلك أواني من الذَّهبِ والفضَّةِ، فإنَّكَ لا تَستفيد شيئًا. ولهذا أقولُ لكَ: لا تهتم بأنْ تَصنَع للكنيسةِ أواني ذهب أو فضَّة أو هياكل مُرَصَّعة أو ستورًا ثمينة، بل افتكر كيف تُرضِي الذي تفعل ذلك من أجلِهِ، فإنَّ هذا أفضَل مِنَ الذَّهبِ الخالصِ، لأنَّ الكنيسة ليست قاعة مَلِكٍ، بل هي مَحضَر الملائكة. ولهذا تحتاج إلى إصلاح النُفوس، لا إلى الأواني النفيسة. والله تعالى إنَّما يقبل العناية بالنفوس لا بالعوارض الخارجيَّة. فإنَّ المائدة التي قَدَّمَ عليها المسيح أولًا لم تَكُن من فضةٍ ولا الكأس التي نَاوَلَ تلاميذَه بها من ذَهَبٍ. وإنَّما كان شَرَفُها بامتلائِها من الرُّوحِ الإلهيّ. فإنْ أردتَ يا هذا أنْ تُكَرِّم جسد المسيح، فَأَكرِمهُ كما يُريدُ هو، لا كما تُريدَ أنتَ، لأنَّ الكرامة إنَّما تكون مقبولةً إذا وافقتَ غرض الذي تُقَدَّم له. لأنَّ الملوكَ قد يُقَدَّم لهم هدايا من الذَّهَبِ والفِضَّةِ ولا يلتفتون إلى مُهديها إذ لا موقع عندهم ولا اعتبار. ويلتفتون إلى من استقبل غُلامًا يخصُّهم في الغُربة ولو بقرصٍ من شعير أو شُربة مِنَ الماء. فإذا عرفنا ذلك فينبغي لنا أنْ نكرِّمه الكرامة التي هو فَرَضَها علينا، وهي أنْ نُنفِق أموالنا لى الفقراء، ونَعولَ الأيتام والأرامل. لأنَّ الله لا يَنظُر إلى أواني الذَّهب، بل إلى الأَنفِس الذَهبيَّة. على انني لا أقول هذا ناهيًا إيَّاكم عن أنْ تُقَدِّموا للكنائس مثل هذه الهدايا، بل عن الاشتغال بتقديمها عن رحمة المحتاجين حتى أنَّ الاهتمام بهم ينبغي أنْ يكونَ أكثر، لأنَّ الله يقبل الهدايا، ولكنَّ الرحمة أكثر قبولًا عنده. مُقَدِّم الهدايا ينتفع بها وَحدَهُ، وأمَّا المُتَصَدِّق على الفقراء فينفع مع نفسِهِ كثيرين.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122